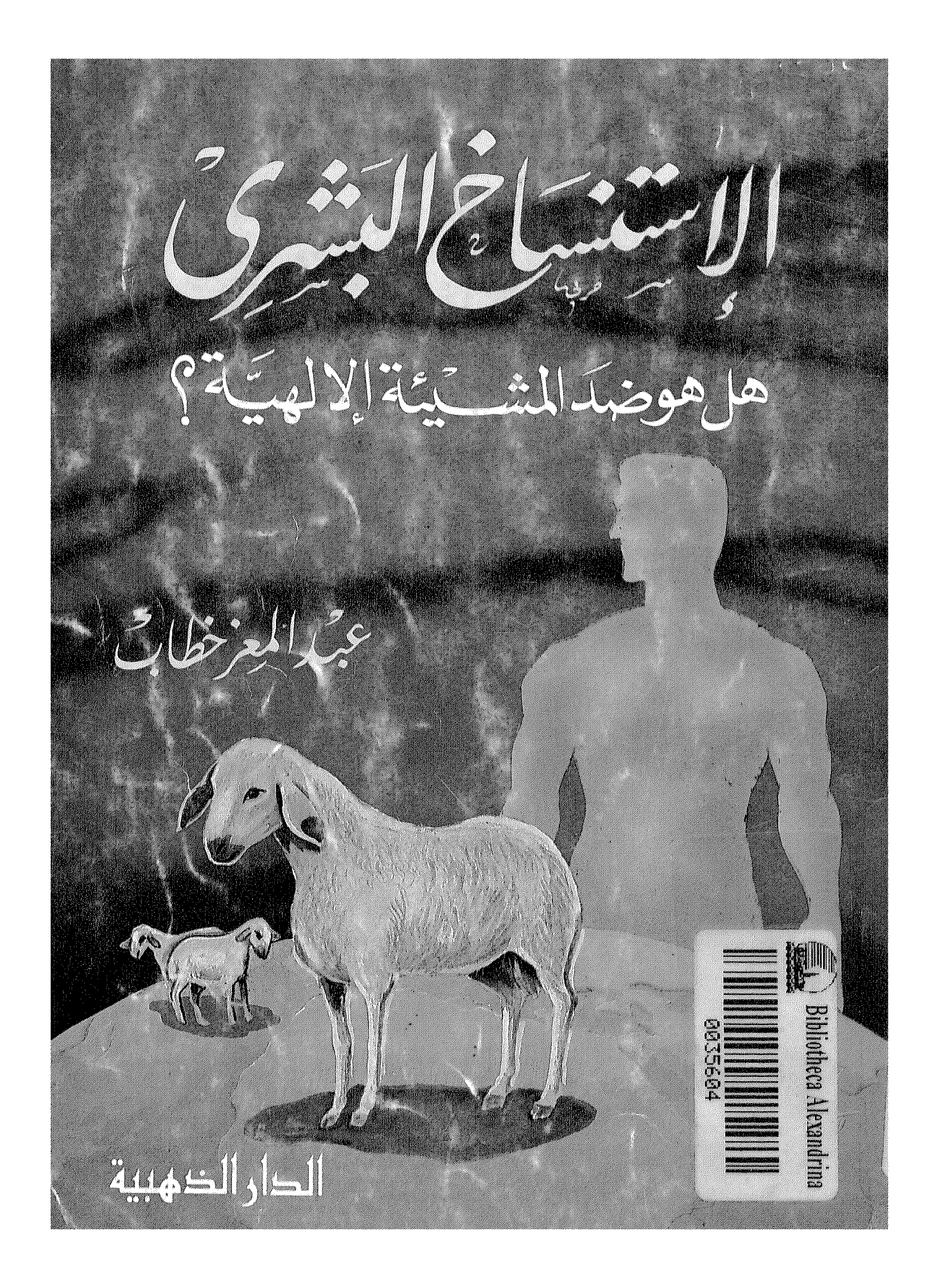

الاستنساخ البشري
هل هو ضد المشيئة الإلهية؟
عبد المعز خطاب
الدار الذهبية
Bibliotheca Alexandrina
0035604



عبد المعز خطاب

الاستنساخ البشري

هل هو ضد المشيئة الإلهية؟

الدار الذهبية





مقـــدمـة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين .

وبعـــد :

فقد أثارت الرسالة التى بعث بها الدكتور حمدى البدراوى أستاذ أمراض النساء بطب الأزهر والتى تتلخص فى أن العلم فى سبيله إلى إنتاج كائن حى جديد بطريقة (الفوتوكوبى) ! أثارت مناقشات وجدلًا واعتبرها البعض تدخلًا فى المشيئة الإلهية وعلامة من علامات يوم القيامة .

ولابد وأن نأخذ الأمر بدون انفعال ونناقشه بموضوعية حتى لا يشطح بنا الخيال ونفقد قدرتنا على استيعاب الجديد فى العلم ، وألا نقع فى الخطأ الذى وقع فيه الأوربيون قديمًا عندما أحرقوا العلماء الذين نادوا بكروية الأرض واعتبروهم سحرة إلى أن تحقق ما قالوا .

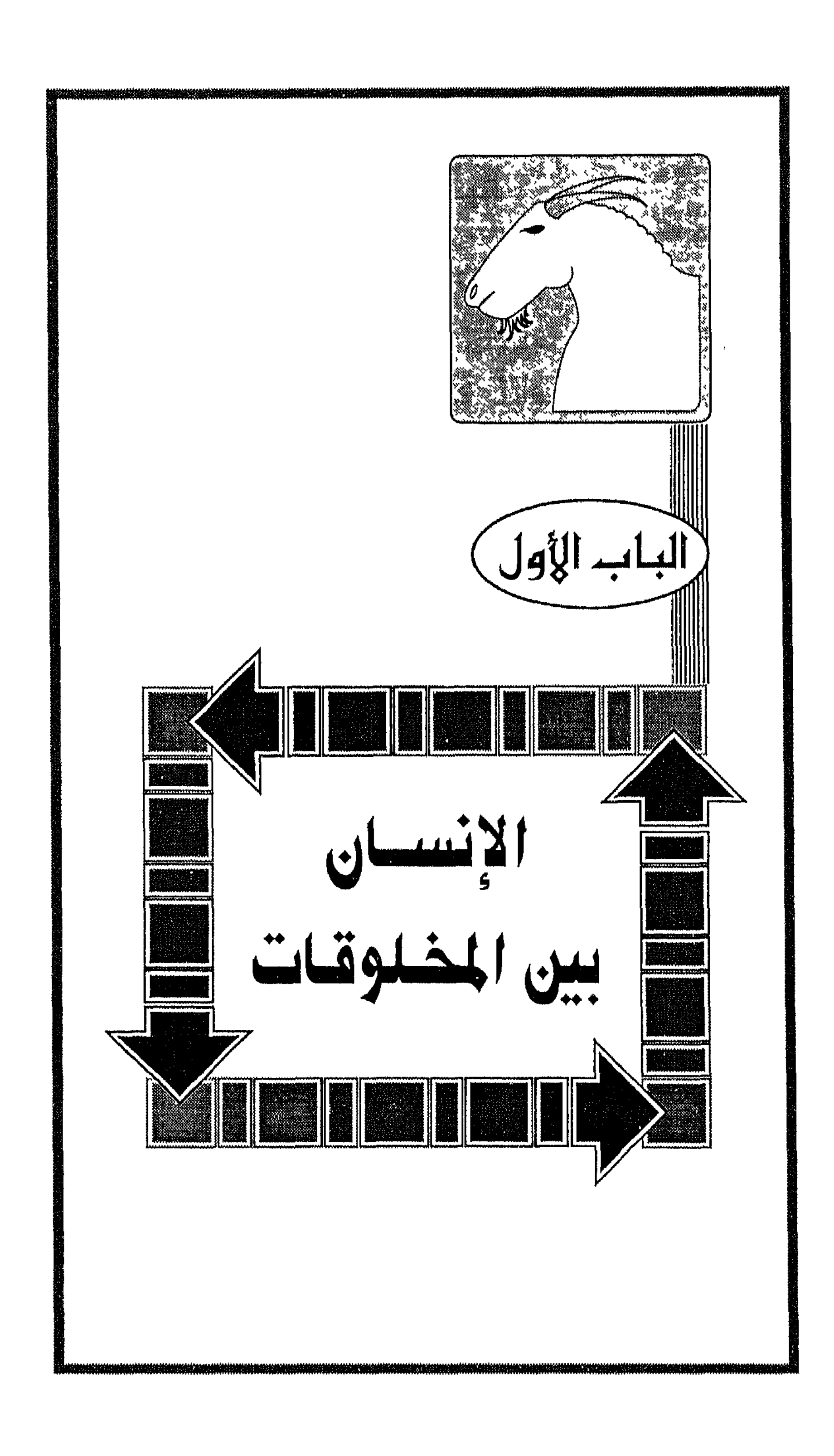
ولا أدل على ذلك من خوف رئيس أكبر دولة فى العالم وهو (الرئيس الأمريكى كلينتون) الذى أزعجته هذه المعلومات وطالب بعدم تمويل الأبحاث الخاصة بعملية الاستنساخ البشرى ، وهو ما أزعجنا أكثر ، لأن معناه كبت التفوق العلمى وإحباط العلماء ، وهل ستتبعه الدول الكبرى ؟

وهذا الكتاب يناقش بموضوعية هذا الأمر الخطير ويبين هل هو ضدٌّ الإسلام ؟ وهل هو حقًّا تدخل فى المشيئة الإلهية ؟ وما هى حدود التفكير والبحث العلمى فى الإسلام ؟ وما هى آراء العلماء المادبين ورجال الدين .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة ٢٨٦] .

عبد المعز خطاب

* * *


الباب الأول
الإنسان
بين المخلوقات



الباب الأول

الإنسان بين المخلوقات

الإنسان هو آخر المخلوقات وجودًا ، فقد خلق الله كل الكائنات من أجله وفضله عليها ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (١) .

خلقه الله من خلاصة الأرض ليستطيع العيش في أي بقعة منها وإليها يعود بعد الموت ومنها يخرج للبعث ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (٢) وإذا قيل خلق الإنسان من طين أو من تراب أو من صلصال فهو آدم ، أما بقية البشر فجاء من تزاوج (ما عدا حواء التي خلقت من آدم) ، (وعيسى الذي جاء من غير أب) ، والله يقول : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ (٣) .

ولقد قال المولى : ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (٤) ، ولم يقل من (نطف) لأن النطفة قد لا يكون فيها (علق) ، والله قال : ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ (٥) .

والماء الدافق يَسْبَحُ فيه ملايين الحيوانات المنوية ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ (١) ،

---

(١) سورة الإسراء الآية : ٧٠ .
(٢) سورة طه الآية : ٥٥ .
(٣) سورة الفرقان الآية :
(٤) سورة العلق الآية : ٢ .
(٥) سورة الطارق الآيات : ٥ - ٨ .

وحيوان منوى واحد هو الذى يفوز بالبويضة ويتفاعل معها ومنها يتم خلق الإنسان ، والحيوان المنوى مزود بخاصية آكلة تحول جدار رحم المرأة إلى بركة دم يسبح فيها ثم تبدأ عملية الانقسام إلى خلايا .

والنطفة فى خصية الرجل ، ولا ينشأ منها جنين إلا إذا اتصلت ببويضة المرأة ، والله قادر على أن يعطى الذكور أو الإناث أو النوعين معًا أو يجعل الإنسان عقيمًا ، فالكل عطاؤه : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

والإنسان يخلق من خليط ماء الرجل وبويضة المرأة وتدبّ الحياة ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (٣) .

وفى قول الله : ﴿ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ (٤) ، المخلقة الجنين ، وغير المخلقة المشيمة ، ولا جنين بدون مشيمة لأنها تمده بالغذاء ، والله حدد الأطوار السبعة التى يتطور بها الإنسان فى بطن أمه ، وقال على لسان نوح : ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ (٥) وأوضحها فى قوله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (٦) ، ثم يأتى بعد ذلك طوران آخران (الموت والبعث) ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ

---

(١) سورة القيامة الآيات ٣٧ - ٣٩ .
(٢) سورة الشورى الآيتان : ٤٩ - ٥٠ .
(٣) سورة الإنسان الآيتان : ١- ٢ .
(٤) سورة الحج الآية : ٥ . (٥) سورة نوح الآية : ١٤ .
(٦) سورة المؤمنون الآيات : ١٢ - ١٤ .

لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [1] ، والنطفة أول أطوار الجنين ، ثم تأتى العلقة ﴿ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ [2] .

والإنسان رغم ضعفه هذا إذا ما اشتد عوده يتمرد على مولاه ويتحول إلى مخلوق مزعج مجادل مخاصم لا يشكر نعمة ولا يؤدى واجبًا ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [3] ، وفى الغيب يتم تصوير الإنسان وكل ما يتعلق به ﴿ هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [4] .

والإنسان يخرج من بطن أمه ضعيفًا يعتمد على الآخرين ، ثم يشتد عوده ويقوى ثم يعود للضعف والشيخوخة إلى أن يموت ﴿ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ [5] ، ويبدأ بدن الإنسان فى النمو ثم يزوده الله بالعقل والملكات ووسائل الإدراك ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [6] .

وقد يموت الإنسان فى بطن أمه ، وقد يموت بعد الولادة ، وقد يحيا إلى أن يشب ويقوى ويمتد به العمر إلى الشيخوخة فيعود طفلًا كما كان ﴿ وَنُقِرُّ فِى الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا

---

(١) سورة المؤمنون الآيتان : ١٥ ، ١٦ .
(٢) سورة عبس الآيات : ١٨ - ٢٢ .
(٣) سورة يس الآية : ٧٧ .
(٤) سورة آل عمران الآية ٦ .
(٥) سورة الروم الآية : ٥٤ .
(٦) سورة النحل الآية : ٧٨ .

أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ [١] .

والجنين يخلق فى ظلمات ثلاث اختلف فيها العلماء . قيل : إنها (الخصية والمبيض والرحم) وقيل : إنها (ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة الكيس) والكيس به سائل يحمى الجنين ﴿ **يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ** ﴾ [٢] ، والرسول يعبر عن خلق الإنسان فى البطن ، وكيف تنفخ فيه الروح فيتحول إلى بشر : « إن أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يومًا ، ثم يكون فى ذلك علقة ، مثل ذلك ، ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح » وهذا سر العدة للمطلقة والمتوفى عنها زوجها .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « إذا مر بالنطفة اثنان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكًا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ، ثم قال يا رب أذكر أم أنثى فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك .

والإنسان خلق فى أجمل صورة ، ولم تلحقه أمراض الوراثة ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾ [٣] ، والإنسان أحد اثنين : إما مُهْتدٍ ، وإما ضال ، فهو يجمع بين الطبيعتين ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾ [٤] ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ [٥] .

---

(١) سورة الحج الآية : ٥ .
(٢) سورة الزمر الآية : ٦ .
(٣) سورة التين الآية : ٥ .
(٤) سورة الإنسان الآية : ٣ .
(٥) سورة الشمس الآيات : ٦ - ٩ .

والإنسان فى أحيان كثيرة جاحد لنعم الله يغريه المال ويطغيه وهو شاهد عليه ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾[1] .

وفى الإنسان معجزات ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[2] ، والبصمة فى الإنسان إعجاز ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾[3] ، فالإنسان هو محور الكون والكائنات كلها فى خدمته ، وأعطاه الله الإمكانات لإخضاعها له.واستفادته منها ﴿ أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4] .

بداية التغيير فى جسم الإنسان :

منذ هبط الإنسان إلى الأرض وهو يواجه تحديات وأخطارًا جسيمة ، إما من الكائنات المفترسة ، أو الأمراض الخفية ، أو الجروح والإصابات بالحروب ، أو فى نطاق العمل ، وكان كثير من البشر يسقطون ضحايا لهذه الآلام ولا يستطيعون لها دفعًا أو علاجًا ، وكان الإنسان يسكن الكهوف والمغارات وليس عنده من وسائل العلاج والأدوية ما يمكنه من تخفيف آلامه .

والإنسان البدائى واجه أخطار البيئة بوسائل وحشية تتمثل فى قوة أسنانه ويديه وعضلاته ولم يكن العقل يعمل إلا قليلًا .

ولما اكتشف الإنسان النار وطهى الطعام وسعد بذلك ، كان هناك

---

(١) سورة العاديات الآيات : ٦ - ٨ .

(٢) سورة الذاريات الآية : ٢١ .

(٣) سورة القيامة الآيتان : ٣ ، ٤ .

(٤) سورة النمل الآية : ٦١ .

تغيير فى أسنانه فضعفت عما كانت وفى قبضته الحديدية التى كان يقتل بها الحيوان وأصبح يستخدم عقله أكثر .

وبمراجعة ما اكتشف من هياكل الإنسان القديم تتضح لنا هذه الصورة ، كان طويل القامة ، غزير الشعر ، قوى الأنياب والأسنان ، ذا قدم كبيرة وأصابع ضخمة ، ثم أخذ فى التراجع فقل طوله وضعفت أسنانه ، ومن هنا أقام المنازل لحمايته من خطورة الحيوانات المفترسة والزواحف العملاقة ، وبعد أن كان يستخدم قبضته الفولاذية لقهر أعدائه أخذ يستخدم أسلحة من الحجر ، ثم تطورت إلى أسلحة قاتلة (كالقوس والسهام) ، وبتطويع الحديد أصبح لديه أسلحة خطيرة ﴿**وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾[1] ، وبعد أن كان يعتمد فى معيشته على صيد الحيوان والأسماك ، انتقل إلى الزراعة واستفاد بالأنهار وعيون الماء والمطر (والزراعة دفعته إلى الاستقرار لأنه ينتظر المحاصيل بالشهور) وما عاد يجرى وراء الكلأ والمرعى ، وكل مرحلة انتقل إليها الإنسان أحدثت تغييرات فى جسمه وشكله وتفكيره والوسائل التى يستخدمها .

والحفريات تمدنا بتطور الإنسان (فإنسان العصر الحجرى) يختلف عن (إنسان ما بعد اكتشاف النار) عن (إنسان عصر البخار) عن (إنسان عصر الكهرباء) عن (إنسان عصر الفضاء) .

وواضح من الدراسات السابقة أن الإنسان فى ضعف مستمر ، لأنه ما عاد معتمدًا على عضلاته (وما عاد يمشى المسافات البعيدة) (ويرتقى الجبال العالية) وإنما (أبطرته النعمة والرفاهية) (وأقعدته وسائل الركوب والاتصالات) عن الحركة مما جعله يتعرض لأمراض ما عرفتها الأجيال السابقة ، ولأن الإنسان ابتعد عن الفطرة المستقيمة ﴿**فطرة الله التى فطر الناس عليها**﴾ ، وخرج على قوانين الله وتعدى حدود الله . فإن الله ابتلاه

---

(١) سورة الحديد الآية : ٢٥ .

بأمراض خطيرة ، مثل (مرض الإيدز) الذى يسبب فقد المناعة فى الجسم ويؤدى للموت ، وذلك لأنه ارتكب الفواحش والممارسات الجنسية الشاذة ، وعندما خرج الإنسان عن المألوف (وأطعم الأبقار مسحوق عظام الأبقار) تسبب ذلك فى (مرض جنون البقر) وخسرت بريطانيا حصيلة كبيرة كانت تكسبها من تجارة اللحوم ، وصدق الله ﴿ **وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ** ﴾[1] .

تقدم طب الجسد :

الإنسان بطبيعته وبما أودع الله فيه من أسرار يستفيد بكل ما حوله وكل ما تقع عليه عينه ، ويغلب عليه حب الاستطلاع (وعلمه متجدد) على عكس المخلوقات الأخرى علمها محدود حتى الملائكة والجن (ولهذا أجلس الله آدم مجلس المعلم والملائكة كطلاب) .

كان يتعرض للجروح ويلاحظ أنه إذا وضع عليها الطين يتوقف النزيف ، وتأخذ فى الضمور حتى يبرأ ، وجرب أمورًا كثيرة ساعدته على معالجة آلامه ومداواة جروحه .

وكان أقسى ما يتعرض له الإنسان كسر العظام سواء فى الذراع أو الرجل ، وكان ذلك يقعده عن الحركة حتى اهتدى للجبائر وأحس براحة معها ، فطورها وكانت قوة بدنه تساعده على التغلب على أقسى الجروح وكسر العظام ، وبمرور الوقت نبغ فى العلاج أناس كرسوا أوقاتهم لمعالجة المرضى ، وبحثوا عن الوسائل المخففة ، وتلفتوا حولهم للاستفادة بالأعشاب وبكل ما من شأنه أن يخفف الآلام وطوروها .

والمصريون القدماء نبغوا فى الطب البشرى وعالجوا كثيرًا من الأمراض وجبروا العظام وانتفعوا بكل ما أودع الله فى أرضهم من أعشاب ، وعرفوا

---

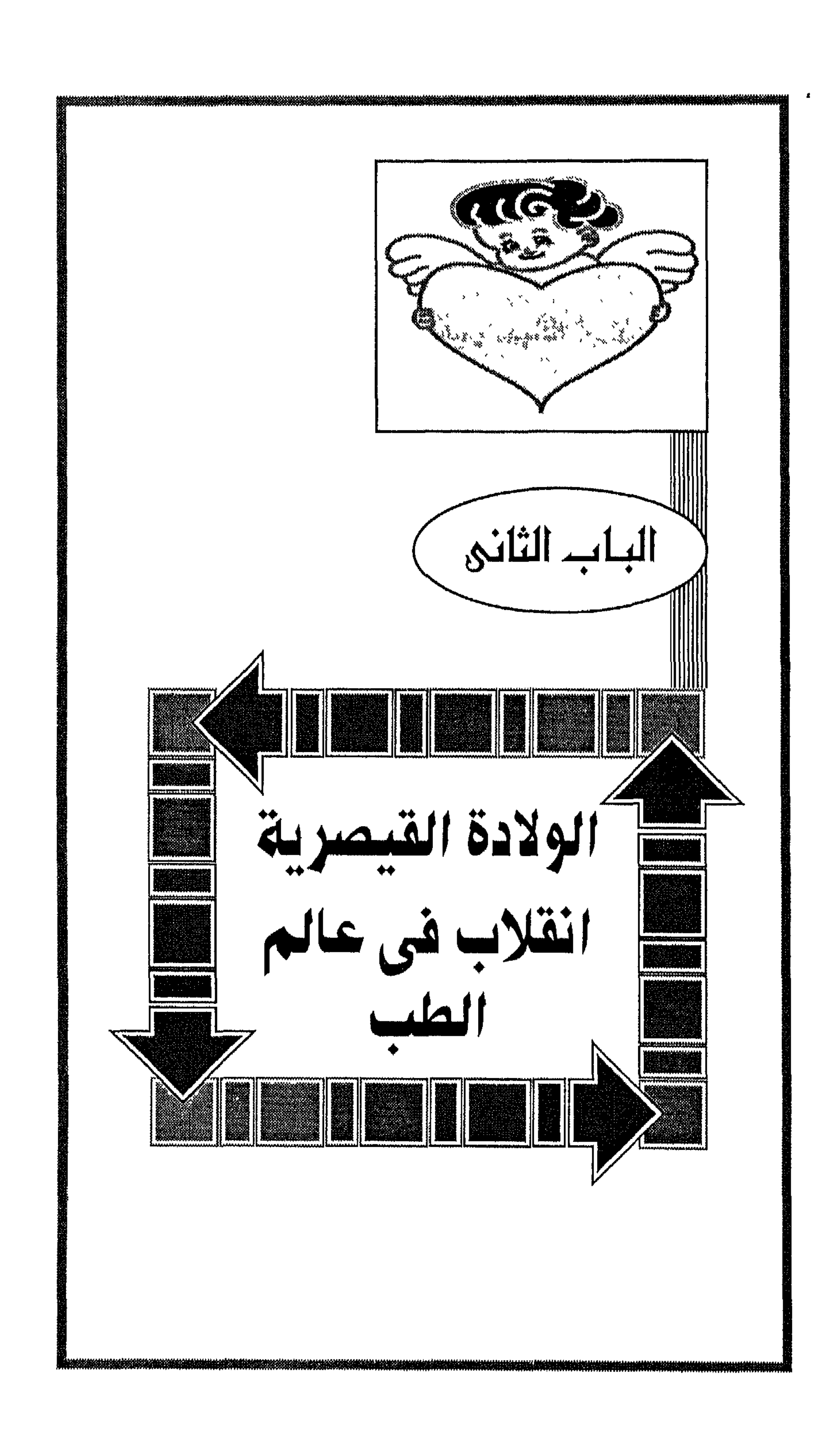
(١) سورة الطلاق الآية : ١ .

الجرعات الطبية ، وتوصلوا إلى مشروب يغيب معه الوعى حتى يحتمل الإنسان العلاج أو إجراء العمليات أو إعادة العظام إلى مكانها .

ولا أدل على ذلك من أنهم برعوا فى (تحنيط الموتى) باستخراج الأجزاء التى تسبب التعفن وغسل التجويفات بمحاليل تبقى على الجسم كما هو دون أن يتحلل ، ومن ينظر إلى (المومياوات القديمة فى متحف الآثار) يرى العجب العجاب ، كأنما دفنت الساعة (ومازال فن التحنيط عند قدماء المصريين) سرًّا مغلقًا ، والجثث الحديثة الآن لا يمكن الإبقاء عليها أكثر من عدة شهور فى ثلاجات ضخمة ووسائل علمية متطورة .

والإسلام لم يحجر على هذه البحوث بل شجعها ونماها لخدمة البشرية ، ولعلنا نذكر أن النبى عليه الصلاة والسلام لما رأى (تميمًا الدارى) قد أضاء المسجد بالشموع وكان المسلمون يصلون فى ظلمة قال : « نورت الإسلام نور الله عليك فى الدنيا والآخرة » لأن الإضاءة تريح العين وتشرح الصدر على عكس الظلمة ، فكل ما فيه سعادة الإنسان وتخفيف آلامه يشجعه الإسلام .

* * *


الباب الثانى
الولادة القيصرية
انقلاب فى عالم
الطب



الباب الثانى

الولادة القيصرية انقلاب فى عالم الطب

وحياة الإنسان لابد وأن تستمر ،ومن هنا كان الزواج والإنجاب وهو يجد سعادة بالغة فى مولود يحمل اسمه ويبقى على ذكره .

وكان الولد الذكر هو قرة عين الأبوين ، أما ولادة الإناث فكانت تنعكس على الوجوه والقلوب حسرة وألمًا ، كان هذا واضحًا بين العرب لدرجة أن المولودة الأنثى كانت تتعرض للدفن حية بدون جريرة ، أو يبقى الأب عليها فى مذلة كأنما ارتكب جريمة ، والقرآن يصور ذلك ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (١) ، وما زالت هذه العادة السيئة فى عصرنا هذا الذى تساوت فيه البنت مع الولد فى جميع الحقوق وتفوقت فيه المرأة واحتلت أرفع المناصب .

تتزوج الفتاة وبعد عدة أسابيع تطاردها الأسئلة هل حملت أم لا ؟ وهى بالتالى تتطلع للحظة الحمل ، فإذا ما تم الحمل كان الانتظار المرير ليخرج هذا الجنين إلى الدنيا .

وكانت الولادة تتم بطرق بدائية ، وقد يتلوث الرحم وتقع الأم فريسة للحمى ، ثم تطورت الولادة ، وواجه الأطباء متاعب فى أوضاع الجنين قد يكون مقلوبًا تتدلى منه الرجلان ومن الصعب تعديل وضعه ، أو تكون الأم ضعيفة أو مريضة بالقلب لا تتحمل الطلق وقد تموت ويموت الجنين .

---

(١) سورة النحل الآيتان : ٥٨ ، ٥٩ .

ثم تطور علم الولادة ونجح أول طبيب بأدواته البدائية فى شق البطن واستخراج الجنين وتخاط البطن كما يخاط الثياب ، وبإنتاج أحدث الأجهزة أصبحت (الولادة القيصرية) هى الغالبة بل وصارت أخف من عملية الزائدة الدودية .

وتقدم العلم ونجحت أجهزة الأشعة التليفزيونية فى تصوير الجنين ومعرفة إن كان ذكرًا أم أنثى ، بل إنه الآن تتم الولادة (بالطريقة القيصرية) والأم فى وعيها تراقب عبر شاشات التليفزيون عملية الولادة .

وسميت (بالعملية القيصرية) لأن أول من أُجريت لها هذه العملية (زوجة القيصر) وكان (القيصر) مستعدًّا للإطاحة برأس الطبيب إن فشل فى هذه العملية ، ولو لم يتقدم طبيب يحب الرحمة والإنسانية وأجرى التجربة الأولى لما نعمت البشرية بما هى عليه الآن ، لولا جيوش العلماء فى المعامل يجرون تجاربهم لما تحقق هذا التقدم الطبى الهائل ، ولولا المؤتمرات العلمية التى تعرض لخلاصة الفكر الإنسانى وتبادل المنافع لما حظيت البشرية بهذا الخير ، كل ذلك يجب أن ينبثق من إخلاص وتقوى ورحمة والله يقول : ﴿ **وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ** ﴾ (1) .

عدسات العين اللاصقة انقلاب فى عالم الإبصار :

والعين من آيات الله فى الإنسان ﴿ **أَلَم نَجْعَل لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ** ﴾ (2) ، فهو جهاز الإبصار وبدونه تتحول الدنيا إلى ظلام

---

(1) سورة البقرة الآية : ١٩٧ .

(2) سورة البلد الآيتان : ٨ ، ٩ .

﴿وَمَا يَسْتَوِى الأَعْمَى والْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ [1] .

والعين تتعرض للأتربة والإرهاق ، وقد يفقد الإنسان بصره دون أن ينقذه أحد .

وقد نجح أحد أطباء العرب عالم البصريات (الحسن بن الهيثم) فى إنتاج أول (نظارة طبية) جعلت الإبصار أقوى أضعاف أضعاف ما كان عليه) .

وتطورت العدسات والمادة التى تنتج منها ، وعالجت (طول النظر) و(قصر النظر) و(وسائل الحول) و(علاج الشبكية) وغيرها ، لكن النظارة بصورتها المعروفة كانت تتعرض للكسر والأخطار وخاصة مع الأطفال ، كما أن صنفًا من النساء ينفرن من وضع النظارة لأنها تشير إلى خلل فى العين وضعف فى البصر وتشوه مسحة الجمال فى الوجه ، وكان لابد من علاج لهذه المسألة ، فتوصل العلماء إلى إنتاج نوع من العدسات الرقيقة الدقيقة توضع فى داخل تجويف العين بإشراف طبى ويمكن نزعها وتنظيفها وتغييرها .

كما نجح العلماء فى إنتاج عدسات ملونة حسب طلب المريض ، وتعطى الإنسان قدرة على حركة الحدقة ، واستوعبت كل الألوان (زرقاء ، سوداء ، بنية) ، ولكن ثبت بالتجارب أنها تمثل خطرًا للمريض إذا لم يتبع القواعد التى وضعها له الطبيب أو أهمل فى تنظيفها أو استبدالها بجديد ، وقد تسبب للعيون أمراضًا خطيرة ، كما أنها تحدث تغييرات فى الملامح ولون العين ، والمعروف أنه فى جوازات السفر يشار إلى لون عين صاحب الجواز فيمكن التزوير بتغيير اللون ، وقد كسبت قضايا من جراء ذلك ، لأن الشهود أكدوا لون العين واتضح أن العدسات تغيرت .

---

(١) سورة فاطر الآيات : ١٩ - ٢١ .

العين : إعجاز فى الإنسان ، وكذلك اللسان والشفتان ﴿ **أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ** ﴾ [1] ، والعين تتحرك إلى أعلى وإلى أسفل ، ويمينًا وشمالًا حتى ترى من جميع الاتجاهات وهى فى فجوة عميقة تقيها الصدمات ، وفوقها حاجب يمنع عنها العرق ، وجفن ينطبق عليها عند النوم حتى لا تؤذيها الحشرات ، والدموع أقوى مطهر لها ، وتفرز المواد الخطرة ، والحدقة تتسع وتضيق حسب كمية الضوء ، ولها عدسة تضبط الصورة على الشبكية كأنها آلة تصوير ، ويترجم المخ الصورة .

والعين مرآة الإنسان تتضح منها حالات الفرح والحزن والألم والخوف والجبن ، فالعين أقوى تعبيرًا من اللسان ، والله يصف رعب الإنسان يوم القيامة ﴿ **فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ** ﴾ [2] .

الرحم : زوده الله بكل وسائل الأمان ، ووضعه فى أحسن مكان بين تحصينات من العظام حتى يبتعد الجنين عن المؤثرات الخارجية .

المخ : مركز الإدارة العامة فى الجسم ، يصدر الأوامر لكل عضو ويتلقى الرسائل ويحللها من خلال آلاف الصور عن طريق ملايين الأعصاب المنتشرة فى كل أنحاء الجسم .

الجلد : يمثل مركز الإحساس ويسجل على الإنسان كل ما يقول ويفعل ويشهد عليه يوم القيامة ﴿ **وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ [3] ، وهو يحمى الجسم ويفرز العرق ويحفظ الجسم عند حرارة ثابتة .

* * *

---

(١) سورة البلد الآيتان : ٨ ، ٩ .
(٢) سورة القيامة الآية : ٧ .
(٣) سورة فصلت الآية : ٢١ .

استبدال الأعضاء البشرية
تقدم لصالح الإنسانية

لقد كان الطب قاصرًا على علاج الأمراض المختلفة ، وكانت تجد حالات لا يمكن علاجها مثل (الفشل الكلوى) (وإصابات القلب) سواء بضعف الصمام أو توقف الأوردة ، وكان كثيرون يموتون أو يعيشون فى عذاب الألم .

وبحث العلماء ونجحوا فى التوصل إلى (نقل الكلى) من إنسان لإنسان بعد تحاليل وإجراءات ، ثم مضوا مع أبحاث القلب ونجحوا فى إنتاج (القلب الصناعى) ثم فى نقل قلب ميت حديثًا ، وبرع فى ذلك علماء مصر وعلى رأسهم الدكتور (مجدى يعقوب) ، وهذا شجع العلماء أن يبحثوا فى نقل الأعضاء البشرية (كزرع أسنان ميت) فى فم إنسان حى (وترقيع العظام) وغير ذلك مما نعلمه جميعًا .

وقامت فى أوربا وأمريكا بنوك لحفظ الأعضاء البشرية لأموات أو أناس تبرعوا بها وبيعها لمن يريد ، ولهذا أعطوا الأمل فى حياة أفضل لمرضى طال بهم العذاب ، وهذا من فضل الله ، والله يقول : ﴿ **وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا** ﴾ (1) .

وهذه التجارة الرابحة شجعت اللصوص وتجار الموت لتقطيع أعضاء الموتى أو يقتلون الأحياء ويقطعون أعضاءهم ، ولا أدل على ذلك من قتل الأطفال ، ثم أخذ جماجمهم لكى تتحول إلى مسحوق يشمه المدمنون ، فيحسون بسعادة ، ثم يكون وراءه الموت .

ولأهمية استبدال الأعضاء وخاصة (الكلى) نرى كثيرًا من أصحاب القلوب الرحيمة يكتفى الواحد منهم بكلية واحدة ، ويتبرع بالأخرى لأمه

---

(1) سورة النساء الآية ١١٣ .

أو ابنته أو صديقه ، ومنهم من يتطوع باسم الإنسانية وهذا عمل نبيل (والإنسان يستطيع أن يعيش بكلية واحدة) .

وقد حدث فى بعض الأوقات طمعًا فى الثروات أن قامت عصابات المافيا بقتل البعض ونقلهم فى الحال إلى مستشفيات خاصة بها استعدادات كبرى ويتم نقل الكليتين أو القلب أو العينين ، ويكون هناك مريض قد أُعد لإجراء عملية نقل العضو المطلوب إليه .

وفى أحيان كثيرة يرفض الجسم العضو الدخيل مما يتسبب معه وفاة المريض ، والحقيقة أن نقل أعضاء الجسم خفف الآلام عن كثيرين ، وكلما نظمت هذه العملية واهتمت بها الدول وبعدت عن أيدى تجار الموت كانت رحمة بالبشرية ، والبشرية لا يمكن أن تتفادى الحروب والمخاطر وضحاياها يجب أن نرفق بهم ، وأن نوفر لهم العلاج وتخفيف الآلام (فبنوك الدم) يجب أن تنتشر ويعطى الصحيح من دمه للمريض على أن يكون دمًا نقيًا وليس كما نرى من المدمنين الذين يبيعون دماءهم ليشتروا بأثمانها مخدرات ، وأن نتفادى الدم الملوث الذى يهدد المريض وخاصة من مرضى (الإيدز) ، وأن نبلغ الغاية فى استخراج الأعضاء البشرية المطلوبة (وأجهزة الحفظ) حتى تنتفع بها البشرية ، والعالم الآن اصبح قرية صغيرة تتبادل المصالح بعد ثورة الاتصالات ﴿ واتَّقُوا اللَّه وَيُعلمكُم اللَّه ﴾ (١) .

ولا يصح الحجر على طلاب الطب الذين هم فى حاجة إلى جثث يمارسون فيها التشريح ويعرفون أسرار الجسم الإنسانى بشرط أن تقوم الدولة بتنظيم هذه العملية ، كما فعلت أوربا وأمريكا (فالجثث المجهولة الشخصية ، والمرضى الذين يتبرعون بجثثهم كتابة ، والذين يقضى عليهم بالإعدام) إلى غير ذلك .

ولست مع الذين يريدون أن يتدرب طلاب الطب على هياكل من

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٨٢ .

البلاستيك ، فهذا لا يفيدهم ، كما لا يمكن استفادة الطلاب من عرض تشريح الجثث عن طريق شاشات التليفزيون ، لابد أن يمسك بالمشرط وأن يمارس التشريح عمليًا ، وأن يتعرف بدقة على كل عضو فى الجسم .

ولا أدرى لماذا لا يستدعى طلبة الطب لمشاهدة الطبيب الشرعى وهو يقوم بعمله لبيان أسباب الوفاة ، فهو يتعامل مع كل أعضاء الجسم ، ونحن والحمد لله تقدمنا فى مجال الطب وبرع أطباؤنا ونالوا شهرة عالمية مثل (مجدى يعقوب) فى أمراض القلب وجراحاته ، وكان المغفور له (عبد المحسن سليمان) يهز المؤتمرات الدولية بأبحاثه فى مجال العيون .

علاج العقم تطور علمى هام :

سبق وأن أشرنا إلى التوصل إلى (العمليات القيصرية) فى الولادة ، وكانت فتحًا جديدًا أنقذ آلاف النساء من الموت المحقق ، والآن أكثر الفتيات اللائى حملن ويخفن من آلام الوضع يطالبن بإجراء العملية القيصرية تيسيرًا لهن .

وقد اقتضت حكمة الله – عز وجل – أن يهب البعض الذكور فقط وأن يهب آخرين الإناث فقط ، وأن يمنح صنفًا ثالثًا النوعين ذكورًا وإناثًا ، وصنفًا رابعًا قدر له أن يعيش عقيمًا بلا إنجاب والله يقول : ﴿ **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ** ﴾[1] .

والعُقم قد يكون من الرجل أو من المرأة ، وقد جرت أبحاث وقامت دراسات توصلت إلى إمكانية حمل العاقر وذلك بتقوية الذكر المنوى عند

---

(١) سورة الشورى الآيتان : ٤٩ ، ٥٠ .

الرجل أو حقن رحم المرأة لتقوية البويضة ، وكان النجاح مشجعًا .

وهذا لا يتعارض مع إرادة الله ، فالله ترك للإنسان حرية السعى من أجل الإنجاب خاصة أن الأولاد زينة الحياة الدنيا ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (١) .

وقد سبق وأن منح الله العاقر ولدًا وهذا واضح فى (السيدة سارة زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام) عندما جاء الملائكة فى هيئة رجال وبشروها وإبراهيم بالولد الذكر إسحق ، ويعيش إسحق ويتزوج وينجب يعقوب لينعم الأبوان بالحفيد بعد الوليد ، وقد عجبت السيدة سارة كيف يحدث هذا وهى مسنة عقيم وزوجها بلغ من الكبر عتيا ، لكن الله قضى وهو الذى يقول للشىء كن فيكون ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ (٢) .

ونفس الشىء مع (امرأة زكريا) وكانت عاقرًا وهو جاوز المائة ووهن عظمه وضعف جسمه لكن الله أراد لهما الخير ودعا الله فاستجاب له وأعطاه يحيى قرة عين ، وقد حقق لهما ذلك لصلاحهما وكثرة دعائهما وخوفهما من ربهما ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (٣) .

والله قادر أن يخلق من عدم ، كما خلق آدم بدون أبوين ، وخلق حواء

---

(١) سورة الكهف الآية : ٤٦ .
(٢) سورة هود الآيات : ٧١ – ٧٣ .
(٣) سورة الأنبياء الآيتان : ٨٩ ، ٩٠ .

من آدم ، وخلق عيسى بدون أب ، والله - عز وجل سبق العلماء فى تذليل عقبة العقم حتى يعلم البشر أنه صاحب الأمر والنهى .

فلا عجب أن يلهم الله العلماء ويوفقهم إلى دواء أو إجراء عمليات تحول المرأة من العقيم إلى الحمل والإنجاب ، أو تساعد الرجل لتقوية حيواناته المنوية .

أطفال الأنابيب تخطى لكل العقبات :

إن المرأة مهما تجمع لها من جاه ومال وسلطان ورفاهية وخدم وحشم لا تحس بالسعادة إلا إذا تزوجت وأنجبت .

وعاطفة الأمومة من خصوصيات المرأة لرقة مشاعرها وحنانها الدفاق ، ولهذا أودع الله فى رحمها الإنسان وهى رغم آلام الحمل ومتاعبه تسعد بكل لحظة وتعيش مع كل حركة من حركات الجنين وتعد الأيام ليأتى اليوم الذى تسعد فيه برؤية طفلها .

وهناك نساء لسن عقيمات ولكن الحمل لا يستقر فى أرحامهن لعوامل كثيرة منها عدم تمكن الذكر المنوى من الوصول للبويضة أو موته فى اللحظات الأولى ، وهناك نساء يحملن ولكن لا يمكن بقاء الجنين خوفًا على صحة المرأة وإتمام الحمل والوضع معناه موتها ، ومن هنا نجح العلماء فى نقل الجنين من بطن أمه إلى رحم امرأة أخرى تحتضنه حتى تلده ، بدأوا بالحيوان ثم انتهوا إلى الإنسان .

ثم كانت هناك حالة يتعسر معها الحمل ولا يستقر فى الرحم فاتجهوا إلى أن يأخذوا (النطفة) من الرجل وبويضة المرأة ووضعها فى جو يشبه الرحم وذلك فى أنابيب غاية فى الدقة ، ونجح الحمل وخرج الجنين حيًا ، لكن الذى نخافه من هذه العملية أن تختلط الأنساب بأن يخطئ المختص فى الأنابيب أو يتعمد بأن يجلب نطفة غير نطفة الزوج (فيكون الولد غير تابع

لهما) وهذا هو السر فى أن العلماء حرموا هذه العملية ، ومع ذلك فلا مانع مع الحذر والدقة ، لتسعد المرأة بطفل لها من صلب زوجها .

وأطفال الأنابيب الآن بالآلاف ولم تعد هناك خطورة من هذا الاتجاه وإنما المطلوب العناية بطفل الأنابيب وتعويضه بالرحمة والحنان وعدم النظرة إليه كأنه مخلوق شاذ أو كأنه لقيط فهو فى الحقيقة ابن للزوجين جاء من حلال وله حق الحياة .

سواء جاء الطفل من رحم أمه أو عن طريق (الأنابيب) فهو خلق الله ﴿ **الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسَانِ مِن طِينٍ** ﴾ [1] .

هل يستطيع العلماء أن يخلقوا من مواد صنعوها بأيديهم إنسانًا ، وإذا نجحوا مع الجسد (وهذا مستحيل) فهل يستطيعون خلق الروح وتركيبها فى الجسد ، سيظل الله – عز وجل – هو الخالق القادر ﴿ **أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [2] .

إن الإنسان والجن لو اجتمعوا معًا فى ساحة واحدة وكانت لديهم كل الأجهزة المتطورة لن يستطيعوا خلق (ذبابة) فما بالك بالإنسان ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاس ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [3] .

* * *

(١) سورة السجدة الآية : ٧ .
(٢) سورة النحل الآية : ١٧ .
(٣) سورة الحج الآيتان : ٧٣ ، ٧٤ .

كثرة التوائم إنذار بالتغير البشرى

ولعل من العجب أن كثيرًا من النساء اللاتى عشن سنوات بدون إنجاب حتى فقدن الأمل بتقدم العلم استطاع العلماء حقن بويضة المرأة وتقويتها ومعالجة الزوج ليكون قويًا قادرًا وفوجئنا بنساء عشن سنوات بدون أطفال يحملن ولم تلد المرأة مولودًا واحدًا ولا توأمين ، بينما وضعت امرأة فى (هولندا) ثمانية توائم وكل منهم كبر ويعيش صحيحا ، فالذى حدث أن إضافة مواد إلى بويضة المرأة ونطفة الرجل جعلت الحيوانات المنوية تقوى وتتصارع وتحقق الحمل ، ولا أدرى أهو توجيه السماء أن الله قادر على أن تحمل العاقر بتوائم كثيرين بدل الواحد الذى انتظرته طويلًا ، وأنه فى النهاية الخالق : ﴿ هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) .

ويقول المولى : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِى أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (٢) .

وظاهرة كثرة التوائم المتشابهة التى لا يمكن لأحد أن يميز واحدًا عن الآخر إنما تهون علينا عملية الاستنساخ البشرى التى قامت من أجلها الدنيا وقعدت وتخوف منها الكثيرون .

ولماذا نذهب بعيدًا ؟ إن كلمة الله اقتضت أن تضع السمكة آلاف البيضات لتخرج منها أسماك فى بادئ أمرها تكون متشابهة لا تمييز بينها ، ثم يموت أكثرها بفعل عدوان الآخرين أو فعل الطبيعة ، ومع ذلك يبقى الكثير مما يمتلئ به البحار والأنهار والمحيطات : ﴿ وَمَا يَسْتَوِى الْبَحْرَانِ هَـذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ (٣) .

---

(١) سورة آل عمران الآية : ٦ .
(٢) سورة الانفطار الآيات : ٦ - ٨ .
(٣) سورة فاطر الآية : ١٢ .

وهناك حيوانات ثديية تنجب الكثير مثل : (الأرانب ، والقطط ، والكلاب) لأن الغالبية تموت ويبقى واحد أو اثنان تستمر بهما الحياة ، وحيوانات ثديية لا تنجب إلا واحدًا وهذا فى أغلبها ، وكذلك الإنسان المفروض أن المرأة تلد طفلًا واحدًا ليسهل تربيته ، ويمكن إرضاعه فإذا جاء اثنان أو ثلاثة وجدوا الرعاية ومنهم من تستمر حياته ومنهم من يموت فى صغره .

التوائم أنواع :

إذا جاء التوءمان منفصلين يكون بينهما اختلاف إلى حد ما ، أما إذا جاء التوءمان متلاصقين وتجرى لهما عملية انفصال فإن مشاعرهما تكون واحدة وإحساساتهما واحدة وتوقعاتهما واحدة ، وإذا أوذى واحد منهما وتوأمه بعيد عنه أحس بالأذى ، وإذا حزن واحد منهما بكى الآخر كأنما قوة غريبة تناديه ، وغالبًا إذا مات واحد منهما لا يعيش الآخر طويلًا .

فالتوائم فى كثرتها إنما تشير إلى تطور فى التقدم العلمى والبحوث الجادة (ولكن من الذى خلق إنه الله) والله يقول : ﴿ **خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ** ﴾[1] .

التحكم فى الهندسة الوراثية :

أراد العلماء الخير للبشرية وقد رأوا أن الأمراض الوراثية تنتقل من الأصول إلى الفروع ، وقد يصاب الإنسان بمرض لم يكن فى أبويه ، ولكن بالبحث والتقصى نجد أن جدًّا له أو جدة أصيب بنفس المرض (كالجنون ، أو السكر ، أو العشى) وهو ضعف الإبصار إلى غير ذلك .

رأوا أن ينقوا السلالات من هذه الأمراض بتنقية (الجينات) ، ونجحوا إلى حد ما فى تخفيف آلام البشرية إما عن طريق الأدوية ، وإما عن طريق الهندسة الوراثية ، كما أرادوا أن يجنبوا البشرية الأمراض المستعصية التى

---

(١) سورة النحل الآية : ٤ .

سبق وأن أهلكت البشر (كالطاعون ، والجدرى والملاريا) وذلك بحصانة الإنسان منذ البداية ونجحوا فى ذلك .

ثم اتجهوا إلى عملية (الاستنساخ) بقصد ألَّا يكون هناك تمايز بطول أو سمنة أو إبصار أو حركة ، وتعاملوا مع (الجينات) و (الخلايا) لكن المشكلة أن الإنسان به ملايين الخلايا ، وكان من الصعب أن يؤخذ من كل خلية أجزاء لتحقيق (الهندسة الوراثية) .

وليست الهندسة الوراثية تمرد على خلق الله ، فهل الله عز وجل طلب منا أن نرضى بالمواليد ذات الأمراض هذا يخرج معتوهًا ، وهذا متخلف عقليًا ، وهذا مصاب بشلل ، وهذا معوق ، لا وإنما أذن لنا أن نبحث فيما يمكن عمله لتنقية الأجيال .

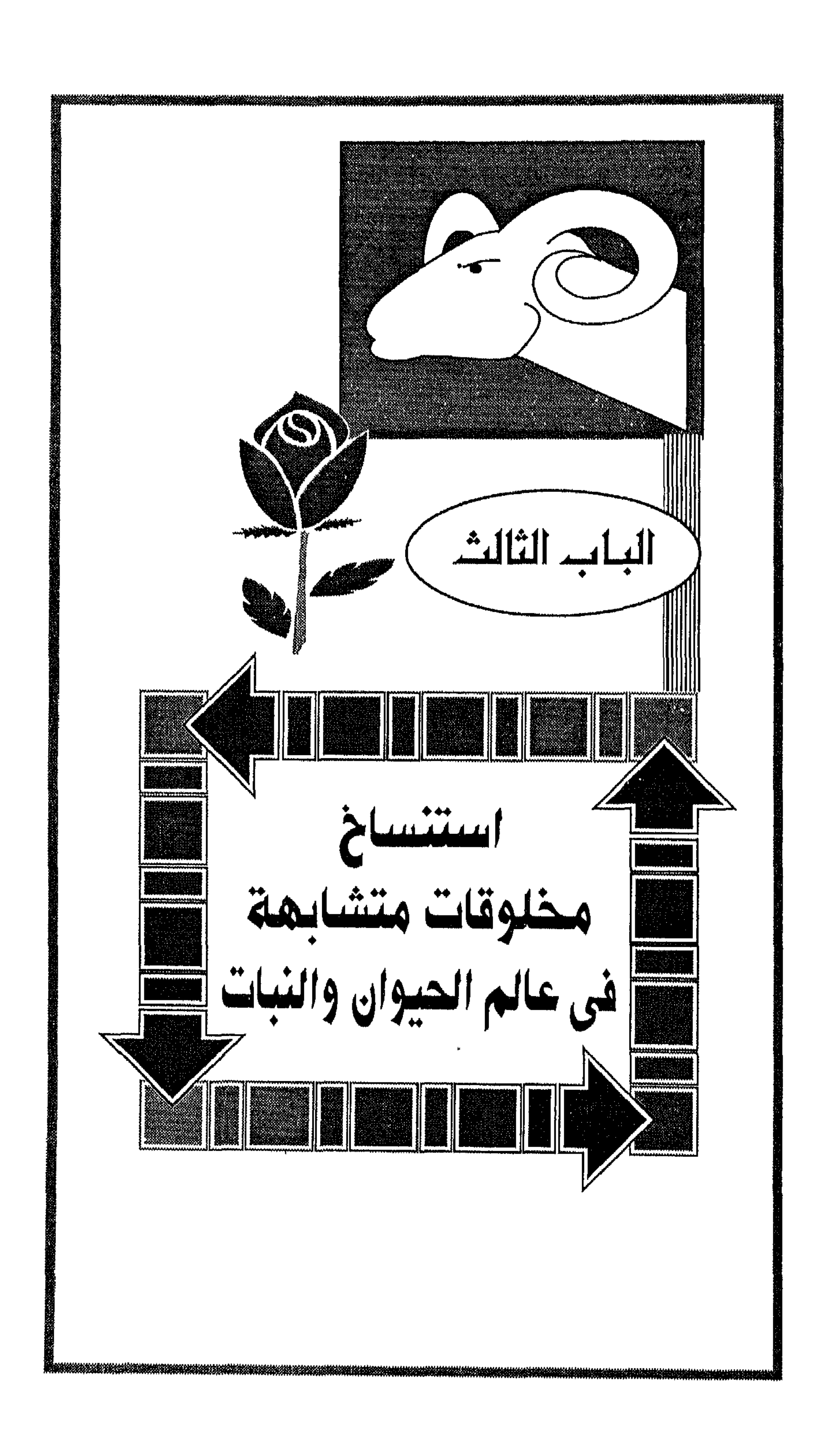
والمرض عمومًا من الإنسان هو الذى يتسبب فيه ، ولهذا قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ **الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ * والَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ** ﴾ [1] فنسب المرض لنفسه لا لله (فالله لا يريد للإنسان ضرًّا) وإنما يريد له الخير ، وهل تكره البشرية أن تكون فى صحة وعافية بعيدة عن الأمراض المهلكة ؟ وواضح أنه بتقدم العلم وتحسين وسائل الرعاية خرجت أجيال أفضل (وقلت الوفيات) .

كانت الميكروبات والجراثيم والفيروسات تهاجم الإنسان ولا يملك لها دفعًا حتى يقع فريسة لها ، ثم تقدم العلم فأمد الإنسان بحصانات وأدوية ومضادات حيوية ، واهتمت البشرية بالطفولة فنهضت أجيال قوية (لكن الأمراض الخطيرة التى جدت كانت نتاج انحراف الإنسان) ما كنا نسمع عن (السكتة القلبية ، أو تصلب الشرايين ، أو انفجار المخ ، أو مرض السكر) لكن الانفعالات والمصالح المتضاربة تسبب ذلك .

---

(١) سورة الشعراء الآيات : ٧٨ - ٨٠ .




الباب الثالث
استنساخ
مخلوقات متشابهة
فى عالم الحيوان والنبات



الباب الثالث

استنساخ مخلوقات متشابهة
فى عالم الحيوان والنبات

أجريت تجارب كثيرة على الحيوانات ونجحت فى استنساخ صور متشابهة من الكائن ، كما أذيع عن (النعجة دوللى) وهى صورة طبق الأصل من أمها ، ثم نجحوا مع (القردة) التى أجريت عليها تجارب فى ولاية (أوريجون) ونجحت ، وهناك عمليات تجرى فى السر لمزيد من الحيوانات والطيور، وليس ذلك بعجب فقد حققت عمليات (الاستنساخ) فى الزراعة نجاحًا عظيمًا وأصبح من الممكن إنتاج محاصيل متشابهة جيدة لها نفس المواصفات مما أدى إلى تطور الزراعة والإنتاج الوفير .

وقد خطت الزراعة خطوات واسعة ، وتطورت الثمرة والكميات مما يواكب زيادة البشرية واحتياجاتها وما ينتجه الفدان الآن أضعاف أضعاف ما كان يحدث فى الماضى .

ولعلنا نذكر أن سيدنا (يوسف) وقد اهتم بالزراعة قبل أن يتولى مسئولية إطعام شعب مصر فى سنوات المجاعة ، وأجرى تجارب ناجحة على تطور المحاصيل مما أدى إلى إنتاج وفير كفى مصر خمسة عشر عامًا من حصيلة سبع سنوات ، ولا شك أنه استخدم كل وسيلة ممكنة لإثراء التربة وزيادة الإنتاج (علاوة على ضبط عملية توزيع الحبوب ، وسد منافذ السوق السوداء وتسرب الحبوب إلى خارج البلاد)، وعاونه فى تحقيق مهمته شباب (مصرى صالح) ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1] .

---

(١) سورة يوسف الآية : ٦١ .

واستخدم يوسف (صواع الملك) المرصع بالجواهر ليكون المكيال السليم حتى لا يظلم أحدًا، ونفذ نظام البطاقات الزمنية وإثبات الشخصيات حتى لا يأخذ أحد بدون وجه حق (ولهذا طلب من إخوته إحضار أخيهم) ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ * فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾[1] .

ونحن نعترف أن إسرائيل تقدمت فى مجال الزراعة وأنتجت خلال احتلالها لسيناء ثمرات كبيرة الحجم، وطعمت أنواعًا مع أنواع، كما نجحت فى عمليات (التهجين فى الحيوان) .

وبنظرة فاحصة إلى (البقرة المصرية الهزيلة) التى يقتلها السل ولا تعطى إلا كمية ضئيلة من اللبن بالقياس إلى (البقر الفرزيان) الضخمة والتى تدر كميات كبيرة من اللبن . نرى الفارق الكبير .

نجاح استنساخ البشر وما بعد ذلك:

إن أهم ما فى عملية (الاستنساخ البشرى) أنها لا تحتاج فى كل عملية إلى الحيوان المنوى للرجل وبويضة المرأة واندماجهما معاً، وإنما أصبح الإنتاج الجديد يعتمد على بويضة بطريقة فنية مازالت سرية وإخلاؤها من نواتها، وبالتالى تعطيل انقسامها ودمجها مع خلية حية مأخوذة من الإنسان المطلوب إنتاج نسخ منه، ووضع الاثنين فى رحم لتبدأ عملية تكاثر الخلية، ولكن دون أن تتأثر بالبويضة التى لن يكون لها قدرة الانقسام بسبب سابق تفريغها من النواة، وبالتالى يكون الناتج النسخ المطلوبة .

ولكن السؤال هل سيكون المولود الجديد متشابهًا تمامًا مع السابق وهو

---

(١) سورة يوسف الآية : ٦٢ .

طفل ثم ينمو ويتطور بنفس الصورة التى تطور بها السابق مع أن الإنسان من أكثر الكائنات تطورًا فى تغيير الشكل . وهل سترث النسخة الجديدة نفس أمراض النسخة الأصلية أم ستكون لها أمراضها الجديدة ؟ وهل سيكون لكل منهما نفس الذكاء والغباء والجنون والعبقرية ؟ وهل يؤدى ذلك إلى عدم التوازن الذى أراده الله بين الذكور والإناث ، فيمكن استنساخ ذكور أو إناث حسب الطلب ، وما هو موقف الرجل الذى يكتفى بحيوان منوى ثم تنسخ منها أعداد أخرى ؟ وماذا ستكون العلاقة الزوجية والاستمتاع الشهوانى الذى هو الأساس فى عملية الإنجاب ؟

والسؤال هنا : هل الاستنساخ البشرى سيخفف عن النساء آلام الولادة التى تسبب لهن آلامًا ؟

لا أظن فالمرأة تحب أن تتعذب وتتألم وتعانى حتى يكون للمولود مكانة فى قلبها ، والله عز وجل يذكر الإنسان ﴿وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ (١) ويقول المولى : ﴿وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (٢) .

وبمجرد أن تضع المرأة تنسى كل الآلام التى مرت بها وتقبل على طفلها بكل حنان ، لكن إذا جاءها نسخ مكررة بدون عناء فهم يشبهون اللقطاء أو أولاد الغير لا تحس معهم بالعاطفة التى تحسها مع طفلها الذى حملته ووضعته ، ومعنى ذلك أنه سيكثر الإرضاع الصناعى الذى ثبت ضرره ، وتكثر المؤسسات التى ترعى الصغار كالملاجئ ، ويشرف عليهم نساء ما حملوا ولا وضعوا ولا أرضعوا ، فيخرجون إلى الحياة قساة القلوب ،

---

(١) سورة الأحقاف الآية : ١٥ .
(٢) سورة لقمان الآية : ١٤ .

وروسيا أجرت تجربة أطفال ظلوا فى حضانة أمهاتهم حتى كبروا ، وأطفال تولت تربيتهم مؤسسات فماذا حدث ؟

كان الأطفال الذين تربوا بين أحضان أمهاتهم ينبضون رحمة وحنانًا ، والأطفال الذين تربوا فى المؤسسات كانوا فى غاية الوحشية يخنقون القطط بدل ملاعبتها ، ويؤذى بعضهم بعضًا كالوحوش الكاسرة .

الله هو الخالق المسيطر على هذا الكون وكل شىء يجرى بمشيئته ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [1] ومشيئة الله هى الأساس وهى الغالبة ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [2] ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ۞ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ۞ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [3] .

والله ذكّر نبيه ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۞ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [4] .

ولقد تعجل بعض العلماء وقالوا : إن (الاستنساخ) تدخل فى الإرادة الإلهية ، ونقول : لا ، لأن الله مستغن عن العالمين جميعًا وكل الخلائق فى حاجة دائبة إليه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۞ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [5] ، والدليل على استغناء الله عن كل خلقه (قيام الساعة) التى بها تنتهى الأرض ومن عليها وتدمر تدميرًا ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۞

---

(١) سورة القمر الآية : ٤٩ .
(٢) سورة التكوير الآية : ٢٩ .
(٣) سورة المدثر الآيات : ٥٤ - ٥٦ .
(٤) سورة الكهف الآيتان : ٢٣ - ٢٤ .
(٥) سورة فاطر الآيتان : ١٦ ، ١٧ .

وأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ (١) .

والموت هو دليل القدرة الإلهية وعجز البشر ، هل يستطيع البشر أن يعيدوا ميتًا للحياة !! هيهات إن الروح تستل وهم جلوس حول المريض ولا ينقذه أحد ﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ (٢) يأتى الإنسان بين يدى الله فردًا لا يسنده شيء قد ترك كل ما يملك ودخل القبر وحيدًا (والقبر ظلمة إلا إذا نوره العمل الصالح) ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ (٣) ﴿ إِنْ كُلُّ مَن فِى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِى الرَّحْمٰنِ عَبْدًا * لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ (٤) .

حدود التفكير العلمى فى الإسلام :

إن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : « تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله فتهلكوا » ومعنى ذلك أن التفكير مباح فى كل الكائنات ، ولهذا تكرر ذكر العقل والتفكير فى القرآن عشرات المرات ، وخاطب الله أولى الألباب ، وهم أصحاب العقول المستنيرة ، فهم الذين يدركون أسرار الله فى الكون ، ويستكشفون المخبوءات ، والله أمرنا أن نطلق العنان للعقل ليفكر فى خلق الله وجعله من أنواع الذكر ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُوْلِى الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ

(١) سورة الزلزلة الآيات : ١- ٤ .
(٢) سورة الواقعة الآيات : ٨٣ – ٨٥ .
(٣) سورة الأنعام الآية : ٩٤ .
(٤) سورة مريم الآية : ٩٢ .

السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [1] .

فالتفكير عبادة ، وأصحاب العقول هم الذين ينجون بأنفسهم من النار ، يقول الله عن أهل النار : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِى أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [2] يدعونا الإسلام لكى نستخدم عقولنا ، وتكرر [لعلهم يعقلون] [لعلهم يتفكرون] [أفلا تعقلون] [فاعتبروا يا أولى الأبصار] .

أما التفكير فى ذات الله فمرفوض فى الإسلام لأنه الغوص فى بحر عميق ، فالإنسان لم يعلم شيئًا عن (الروح) مع أنه جزء منه ، وصدق الله ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [3] .

الهواء الذى نتنفسه لا نراه ، **الكهرباء** التى نستخدمها فى كل المجالات لا نعرف من أين هى ، وحيرت العلماء .

فلنعبد الله بكل ألوان العبادة ولنتعرف عليه من خلال أسمائه وصفاته ، ولنبتعد عن الذات الإلهية فالله كما قال عن ذاته ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [4] .

* * *

---

(١) سورة آل عمران الآيتان : ١٩٠ ، ١٩١ .
(٢) سورة الملك الآية : ١٠ .
(٣) سورة الإسراء الآية : ٨٥ .
(٤) سورة الشورى الآية : ١١ .


الباب الرابع
هل الاستنساخ
البشرى يدخل فى
المشيئة الإلهية ؟



الباب الرابع

هل الاستنساخ البشرى تَدَخُل فى المشيئة الإلهية

إن إثارة قضية (الاستنساخ البشرى) التى طيرتها وكالات الأنباء من (اسكتلندا ، والدنمارك ، والولايات المتحدة) حول نجاح علماء الهندسة الوراثية فى استنساخ حيوانات ثديية من الخلية الجسمية ، وإنتاج نسخ طبق الأصل من هذه الحيوانات دون تزاوج ، والتطلع إلى الإنسان لإنتاج نسخ منه تنسف قاعدة أساسية مستقرة فى البشر منذ آلاف السنين منذ خلق الله آدم وهى قاعدة (التفرد وعدم التشابه) حيث لم يخلق الله من أى إنسان إلا نسخة واحدة لا تتكرر ، وإذا فقد الإنسان صفة التفرد فقد معها صفة الإنسان الذى يختلف عن سائر الحيوانات ، فلا مكان فى ظل النسخ المتشابهة للحياة أو الموت أو الحب أو الرحمة ، ولا معنى للسعادة أو البؤس ، والفرح أو الحزن ، ولا معنى للأبوة والبنوة والتضحية والشرف والجمال والإبداع ، فإذا تم نسخ بشرى كنسخ الأوراق فقدت الإنسانية معانيها إلى الأبد وصعب أن يتصور الإنسان أنه يمشى فى الشارع فيجد نسخًا منه أو يدخل البيت فيجد نسخًا منه ، والحقيقة أن البشرية بذلك تواجه امتحانًا رهيبًا .

ولكننا يجب أن نعلم جيدًا أن الخالق هو الله ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [1] ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ [2] .

---

(١) سورة لقمان الآية : ١١ .

(٢) سورة الواقعة الآيتان : ٥٨ ، ٥٩ .

والإنسان سيظل متفردًا لا نسخة منه من حيث الصفات والسلوكيات ، فلا يمكن عمليًا أن تتشابه شعرة إنسان مع شعرة آخر ، أو بصمة إنسان مع بصمة آخر ، بل ولا دمعة الإنسان نفسه فى حالة الفرح تشبه دمعته فى حالة الحزن ، وبصمة الشفاه لإنسان لا يمكن أن تتشابه مع آخر وإلا اختلت الموازين .

ونعود إلى ما بدأناه : ليس ذلك تدخلًا فى المشيئة الإلهية فالله متفرد بالجلال والكمال ولا يتدخل أحد فى صنعته ، وهو القادر على أن يقضى تمامًا على البشرية جمعاء ، ويستبدلها بخلق آخر ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ (١) .

سيظل الخلق خاضعًا لله ، والدليل القاطع أن البشر يموتون ولا يمكن إنقاذهم من الموت أو إعادتهم ، فالحياة كالنهر يجرى نحو مصبه وكما يقول الشاعر : [هل يملك النهر تغييرا لمجراه]

فلا تدخل فى المشيئة الإلهية ، والبشرية مازالت تحبو فى أول طريق المعرفة ، وما حققه الإنسان قطرة من محيط الله الزاخر ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

ولو كان الإنسان يملك المقدرة الكاملة والانفراد بمشيئته لماذا لم يقاوم (الفيضانات ، والطواعين ، والزلازل ، والأعاصير) لماذا يقف عاجزًا أمام كل هذا ، لأنه ضعيف وبحاجة دائبة إلى مولاه .

ودولة (كالولايات المتحدة الأمريكية) وهى تملك من الإمكانات ما لا تملكه دولة أخرى يكتسح بعض ولاياتها كل عام إعصار لا تستطيع

---

(١) سورة فاطر الآيات : ١٥ - ١٧ .

(٢) سورة لقمان الآية : ٢٧ .

مقاومته ، يدمر ويعربد وما عليها إلا أن ترفع الأنقاض وتعيد البناء وتصلح ما أفسده ، وهى تنتظره كل عام كالعبد فى انتظار سيده .

إن مشيئة الله وقدرته فوق التصور فهو الحى القيوم الذى لا يتغير ولا يعجزه شيء فى كونه أو خلقه ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (١) .

والله أخضع مشيئة الإنسان لمشيئته ، فلا يتصرف الإنسان من ذات نفسه ولا يملك التحرك منفردًا ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ (٢) .

محاسن الاستنساخ ومساوئه :

يجب أن ننظر إلى عملية الاستنساخ -إن صح ذلك – على أنها تقدم علمى يحاول العلم أن ينقى الإنسان من كل أمراضه ومساوئه ، ويجعله قادرًا على مواجهة التحديات فى ظل صحة وعافية .

وربما نظر العلماء إلى الآلام التى تعانى منها البشرية ووسائل الهدم فى الإنسان والبيئة والتلوث وألوان من التخلف العقلى والعته ، والعلل الظاهرة والباطنة ، فأرادوا مد يد المعونة للإنسان ، فهدفهم هو تنقية (الجينات) من أمراض الوراثة وهو ما بدأت به (عملية الهندسة الوراثية) تقوية المخ

---

(١) سورة البقرة الآية :

(٢) سورة المدثر الآية : ٥٦ .

وإضعاف الغدد التى تسبب للإنسان متاعب ، وعلى هذا فكلها محاولات لصالح البشرية .

لكن الجانب السيئ هو الأخطر ، سيسبب الاستنساخ تكاثر أعداد البشر فيضيق بهم المكان وأسباب الرزق ، والعالم يعانى من نقص الطعام ، وهناك خطر يلوح وهو نقص المياه وأكثر شعوب العالم تعانى من أزمات المواصلات والاسكان والغذاء والعلاج ، والبطالة تسود العالم مما يهدد بكارثة .

ومن هنا (فالاستنساخ) قد يزيد البشرية معاناة ، وفى ظل الزحام تكثر الجرائم وتنتشر الأمراض ، وتعم البطالة ، والبشرية ليست بحاجة إلى مزيد إلا بنسب محددة من ناحية أخرى فالتشابه التام بين البشر فى عملية الاستنساخ سيفتح أبواب الشر والجريمة والاعتداء على الأعراض والأموال ويكثر التحايل ، فهذا سيحل محل ذاك فى بيته وعمله ومعاملاته ، وهذا يرتكب جريمة فى مكان ما بينما شبيهه موجود فى مكان آخر ، فلا يستطيع القضاء أن ينال من المجرم ، وهذه معروفة فى (التوأمين) المتشابهين ، و(الأستاذ مصطفى أمين الصحفى المخضرم) وكان توأمًا لأخيه المرحوم ، (على أمين) يقول : كنت أذهب إلى الحلاق ، وفى اليوم التالى يذهب أخى ، وأدخل السينما وبعد قليل أخرج ويدخل أخى ، ولا يكتشف أحد ذلك لشدة التشابه ، فما بالك بنسخ تعد بالعشرات .

وإذا كانت هناك مباراة كرة قدم مثلًا وفيها أربعة لاعبين متشابهين بالاستنساخ كيف يميز الحكم بينهم . يمكن أن يخرج واحد ويحل آخر محله دون أن ينتبه أحد ، وقد حدث ذلك فى مبارة كرة قدم مشهورة حيث عاقب الحكم اللاعب (حسام حسن) وكان الذى يستحق العقاب هو توأمه (إبراهيم حسن) وتراجع الحكم لما أحس بالخطأ ونبهه مراقب المباراة .

وبالنسبة للأعراض ماذا يحدث لو أن شريرًا من هؤلاء المتشابهين استغل الشبه بينه وبين زوج ثم دخل إلى زوجته وعاشرها معاشرة الأزواج وهى تظن

أنه زوجها ، وهذا حدث مرارًا فى أوربا مع التوأمين.وكان أحدهما طيبًا والآخر شريرًا ، وظلت الزوجة مخدوعة إلى أن ضبطه الزوج الحقيقى وكانت فضيحة .

والمعروف أن التشابه يؤدى إلى الخداع ، فمن المعروف أن الرئيس (صدام حسين حاكم العراق) اختار ثلاثة من أشد الناس شبهًا به وأوكل إلى أحد علماء التجميل أن يضيف إليهم ما يجعلهم صورة بالكربون منه ، ويشهدون محله الاحتفالات التى يخاف فيها على نفسه ، وحدث أن بعض الكارهين للنظام حاولوا اغتياله وفعلًا أطلقوا النار على الشبيه وأذاعوا أنهم قتلوا (صدام حسين) ولكنه بعد قليل ظهر للناس على شاشة التليفزيون وكذب ما زعموه عن اغتياله وتبين أن الضحية أحد شبهاء صدام حسين .

والسينما كثيرًا ما استغلت هذا التشابه فى أفلامها لإحداث المفارقات بين شخصية طيبة وشخصية شريرة ، ففى السينما المصرية فيلم (آه من شربات) اختان توأمان إحداهما طيبة على تربية عالية ، والثانية خطفها أعداء الأب وربوها فى بؤر الفساد وعلموها اللصوصية وكل أنواع الإجرام ، واستغلت ذلك للإيقاع بأختها وارتكاب الجرائم باسمها .

الاستنساخ البشرى موجود منذ القدم :

التهجين الذى حدث فى الحيوان وأنتج أنواعًا وسلالات جديدة حدث فى الإنسان بعد اختلاط الأجناس من جراء الحروب الطاحنة وسقوط الآلاف فى الأسر واغتصاب النساء فتغيرت الصور ، لكن ما دام كان هناك نقاء جنسى كانت كل نوعية متشابهة .

ونحن فى عصر مازالت هذه الأجناس المتشابهة قائمة مثل شعب (الصين وبعض شعوب آسيا) التى أغلقت أبوابها ومنعت التزاوج مع الأجناس الأخرى ، فأنت تميز بين مصرى ومصرى بسهولة ، أو فرنسى

وفرنسى ، ولكن صعب التمييز بين (صينى وصينى) أو (يابانى ويابانى) ومعنى ذلك أن التوقف عند نطفة واحدة جر معه هذه السلسلة المتعاقبة .

ولعلنى أذكر أن فريقًا من الصين لكرة القدم جاء إلينا ليؤدى بعض المباريات مشاركة للصين ، وكانت إحدى دول عدم الانحياز ، وفوجئنا بأحد عشر لاعبًا نفس الملامح ونفس الحجم حتى أنه إذا خرج واحد من اللاعبين الأصليين واستبدل بآخر من الاحتياطيين لما تنبه أحد ووجد الحكم مشقة فى إدارة المباراة .

وبعض القبائل التى لم تختلط مع غيرها تحمل نفس الملامح والأشكال ، **وإخوة يوسف** عليه السلام كانوا عشرة أشداء نفس الطول والملامح ، وخاف عليهم أبوهم (يعقوب) حين دخولهم مصر وأمرهم بالتفرق حتى لا يخاف منهم المسئولون فى مصر ﴿ **وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ** ﴾ (١) .

وظل الأسباط فى تنقية جنسية لا يتزاوجون مع أحد خاصة وأن الدين اليهودى المعاصر لا يأذن بزواج اليهودية من آخر غير يهودى ، فكان اليهود لهم ملامح نكرة نفرت منهم الأجناس التى اختلطوا بها ، وسببت لهم المتاعب ، وكانوا يسكنون فى أماكن منعزلة عرفت (بحارات اليهود) ومازال أغلبهم له نفس الملامح .

والمغول والتتار الذين دوخوا العالم واجتاحوا ممالك ودولًا وأهلكوا الحرث والنسل كان ضمن ما أرعب منهم الآخرين هو تشابه الوجوه ونفس الأحجام علاوة على الأسلحة الحديثة التى جلبوها والأعداد الرهيبة التى كانوا يتقدمون بها ، والوحشية فى القتل وسفك الدماء ، وتخريب المدن وحرق الكتب والعلماء .

---

(١) سورة يوسف الآية : ٦٧ .

ومن ذكر الله (ليأجوج ومأجوج) يتضح لنا أنهم أُناس لهم نفس الملامح القاسية والتى أفزعت شعب ما بين الجبلين ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾[1] .

والجنس الآرى الذى جاء منه (الألمان) ظل نقيًا فى عصور كثيرة ، وكانت لهم ملامح مميزة يعرفها غيرهم مهما سافروا أو تجولوا إنما تغيرت الملامح لما اختلطت الأجناس وحدث التهجين بين البشر (ونحن مازلنا نعانى من العيون الخضراء) فى بعض محافظات مصر وعلماء الأجناس قالوا : (إنه باختلاط الفرنسيين مع المصريين) نتج نسل جديد .

* * *

---

(١) سورة الكهف الآية :٩٤ .




بسم الله الرحمن الرحيم
اقرأ باسم الذى خلق
الباب الخامس
هل الإسلام
يرفض التقدم العلمى؟



الباب الخامس

هل الإسلام يرفض التقدم العلمى

الإسلام دين العلم ، وأول ما نزل من القرآن ﴿ اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (١) .

وكرم القرآن العلماء وقرنهم فى الشهادة بوحدانية الله مع الذات الإلهية والملائكة ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ والْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بالْقِسطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) .

وأمر الله نبيه أن يزداد من العلم ، ولم يقل له ازدد من المال أو الجاه ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلما ﴾ (٣) .

والله كرم آدم وفضله على الملائكة بالعلم لأن علم الملائكة محدود ، وعلم الإنسان بلا حدود ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِى بأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بأَسْمَائِهِمْ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة العلق الآيات : ١ - ٥ .
(٢) سورة آل عمران الآية : ١٨ .
(٣) سورة طه الآية ١١٤ .
(٤) سورة البقرة الآيات : ٣١ - ٣٣ .

والله يَمُنُّ على نبيه ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ [1] .

ويؤكد المولى – عز وجل – أن البشرية مهما بلغت من التقدم فهى جاهلة فبحر العلم واسع ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [2] .

ولقد تكررت مادة (العقل ، والفكر ، والعلم) فى القرآن مئات المرات ، وأمر الله الإنسان أن يفكر وأن يتدبر وأن يبحث عما يفيده ، ولم يحجر الله على العقل بل إن الله – عز وجل – لم يغضب على إبراهيم عليه السلام لما قال لمولاه ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [3] وسايره المولى ﴿قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [4] فأمره المولى أن يأتى بأربعة طيور مختلفة ويذبحها ويقطعها ويخلط الأجزاء ، ثم يضع هذه الأجزاء على أربعة جبال ثم يدعوها فستعود إليها الحياة وترجع إليه ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [5] .

فالله أراه مظهر الحياة ولم يطلعه على سر الحياة ، لأن الحياة والموت بيد الله ﴿تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [6] .

والنبى عليه الصلاة والسلام دعا للعلم وقال : « من يرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين » ، والقرآن أشاد بالأنبياء الذين آتاهم الله علمًا وحكمة

---

(١) سورة النساء الآية ١١٣ .
(٢) سورة الإسراء الآية : ٨٥ .
(٣) سورة البقرة الآية : ٢٦٠ .
(٤) سورة البقرة الآية : ٢٦٠ .
(٥) سورة البقرة الآية : ٢٦٠ .
(٦) سورة الملك الآيتان : ١ – ٢ .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [1] ،

ويوسف تقلد شئون مصر فى فترة عصيبة بعلمه وذكائه فأنقذ مصر من مجاعة مهلكة ﴿قَالَ اجْعَلْنِى عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [2] وقد تولى (طالوت) القيادة العسكرية لعلمه وقوة بدنه وتقواه ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [3] .

الاستنساخ البشرى صرخة إلى المسلمين لكى يتقدموا :

إذا كان التدخل فى الهندسة الوراثية والتجارب والأبحاث العلمية بهدف شفاء الناس من الأمراض أو مقاومة الأمراض عمومًا فهذا شىء تباركه الأديان مثلما تباركه المجتمعات على اختلاف توجهاتها .

إنما يختلف الأمر ويثور الخلاف لو كان الهدف من هذه الأبحاث شيئًا آخر غير الشفاء مثل تكرار عباقرة وأفذاذ سبقوا ، أو محاولة للوصول إلى الإنسان السوبرمان .. هنا تكون النظرة لهذه الأبحاث مختلفة ، وهذا طريق وعر يمكن أن يؤدى إلى كارثة .

ولا أريد من المسلمين كعادتهم أن يستنكروا كل جديد ويهاجموا كل تقدم وإنما لابد من دراسته والحكم عليه بعد بحث وتمحيص وهو فى الوقت نفسه حافز لهم على النهوض بالبحث والدراسة ، والله تبارك وتعالى دعا إلى

---

(١) سورة النمل الآية : ١٥ .
(٢) سورة يوسف الآية : ٥٥ .
(٣) سورة البقرة الآية ٢٤٧ .

البحث والنظر فى كثير من الآيات ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾ (١) .

إن علماء العرب الذين تربوا فى (مدرسة الإيمان) واستوعبوا العلم الدينى من (تفسير وحديث وفقه وتوحيد) هم الذين فتح الله بصائرهم فاهتدوا بهدى القرآن ، وسلك كل منهم طريقًا فى العلم والمعرفة وأجروا التجارب العظيمة التى خدمت البشرية ، وأخذ عنهم علماء أوربا بعد ذلك .

ألم يكن الرئيس (ابن سينا) عالمًا فحلًا فى العلوم الدينية ثم فى الطب ، وكان أبرع أطباء العظام ، ومازالت كتبه تدرس فى جامعات أوربا ، و (الحسن بن الهثيم) برع فى الرياضيات والبصريات ، وكان أول طبيب يهتم بالعين على أساس علمى ، ووضع قاعدة (النظارات الطبية والعدسات) ، وكان (ابن حيان التوحيدى) عالمًا فى الكيمياء والتراكيب العجيبة التى حيرت العلماء .

وفى عهد هارون الرشيد استطاع أحد عباقرة العرب أن يصنع (ساعة رملية) كانت مقدمة لتطور الساعات ، ولما أهداها (هارون الرشيد) (لشارلمان) ملك ألمانيا ظن أنها سحر ، وأنها تدار بقوة الجن إلى أن شرح له عالم مسلم قاعدتها ، وسرعان ماعمت أوربا .

وصلاح الدين الأيوبى أراد أن يقهر الصليبيين ويهزمهم بسلاح غير السيوف والرماح والسهام ، واستطاع عالم مصرى أن ينتج نوعًا من الخليط الكيمائى يحدث فرقعة ويشعل النار حتى فى الحديد ، ولما استخدمه قهر الصليبيين وهزمهم فى معركة (حطين) واسترد بيت المقدس .

إن العرب فى تاريخهم - لا يملكون إلا الشجب - فى السياسة والدين والعلم - نحن نشجب - بدل أن ينهضوا ، يقول الشاعر أحمد شوقى :

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالرجال فلاح

---

(١) سورة الأعراف الآية : ١٨٥ .

الاستنساخ البشرى فى القرآن الكريم

ذكر الاستنساخ في القرآن في قول الله عن تسجيل كل أعمال البشر ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) ومعنى ذلك أنها نسخ كثيرة من أعمال البشر ، وحينما توزع الكتب يكون هناك الأصل .

ولعل القارئ سيعجب حينما يقرأ هذا العنوان وربما اعتبره تطاولاً على كتاب الله ، والمتشددون قد يتهموننى بالزندقة والكفر ، ولكن نص القرآن واضح .

نحن فى الدنيا نختلف فى أشكالنا وأحجامنا وأعمارنا وألواننا ، لأنها سنة الله فى خلقه ﴿ ولَن تَجِد لِسُنة اللَّه تَبدِيلا ﴾ (٢) ، والله أشار إلى ذلك فى كل الكائنات لا تتشابه وإنما تختلف فى الإنسان والحيوان والطيور والحشرات حتى الجبال ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٣) ويقول ربنا ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (٤) .

هذا فى الدنيا ، لكن ماذا يحدث فى الآخرة ؟ تختلف الصورة فأهل الجنة لا يمكن أن يحدث فيهم هذا التباين وإنما لابد وأن يكونوا على درجة سواء متشابهين فى الشكل والحجم والطول وكل المميزات ، ففى الدنيا

---

(١) سورة الجاثية الآية : ٢٩ .
(٢) سورة الأحزاب الآية : ٦٢ .
(٣) سورة فاطر الآيتان : ٢٧ ، ٢٨ .
(٤) سورة الروم الآية : ٢٢ ، ٢٣ .

تنشغل المرأة القبيحة بجمال غيرها وتحقد عليها ، والرجل القصير ينشغل بالرجل الطويل ويتمنى أن يكون فى قامته ، والعجوز ينظر إلى الشاب ويتحسر ويبكى شبابه ، والمريض يحقد على الصحيح ويتمنى لو كان مثله .

تنتفى فى الجنة كل هذه المفارقات والجميع سواء فى الشكل والحجم والنعيم ، اقرأ قول الله تعالى عن النساء المسنات اللاتى ملأت التجاعيد وجوههن ومضى جمالهن وانحنت ظهورهن ، إن الله سينشئهن نشأة جديدة فيها المساواة والتطابق التام متساويات فى كل شىء ، ولقد جاءت امرأة عجوز وقالت : يا رسول الله هل أدخل الجنة ؟ فقال النبى ﷺ مازحًا : « إن الجنة لا يدخلها عجوز » فولت تبكى فقال النبى ﷺ : أعيدوها ، فلما عادت قال لها : « يا أمة الله الجنة لا يدخلها عجوز » ثم قرأ : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا * لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ (1) أليس فى هذا استنساخ جماعى ؟ (وصور بالكربون) .

ونفس الحال مع الرجال ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ (2) ، فلا تنازع على أعراض الدنيا ولا عداوة من أجل مال أو جاه أو سلطان ، ولا أحقاد لنعيم ورفاهية (الكل سواء) .

والحور العين التى وعد الله بهن المؤمنين نفس الشىء متشابهات ﴿ وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ (3) ﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ (4) والتعبير بالبيض واللؤلؤ يعنى التطابق التام (أليس ذلك استنساخًا ؟) .

---

(1) سورة الواقعة الآيات : ٣٥ - ٣٨ .
(2) سورة الحجر الآيات : ٤٥ - ٤٨ .
(3) سورة الواقعة الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ .
(4) سورة الصافات الآيتان : ٤٨ ، ٤٩ .


الباب السادس
القرن الحادى
والعشرون سيتحقق
فيه كل خيالات السينما



الباب السادس

القرن الحادى والعشرون

سيتحقق فيه كل خيالات السينما

والفن عادة يسبق العلم فأفلام غزو الكواكب سبقت الاستكشافات التى حققها العلم حين انطلقت مراكب الفضاء لغزو القمر والمريخ والشمس ، فالإنسان يتخيل ثم يحقق ما تخيله ، لأنه محفور فى ذاكرته .

ولقد أنتجت السينما أفلام (فرانكشتاين) وهو طبيب مشهور نجح فى أن يصنع إنسانًا قويًا ومتفرقًا ، ولكنه فى أبشع صورة ، وانطلق هذا المسخ يدمر ويحطم كل شىء حتى صانعه (فرانكشتاين) ، وظهرت أفلام خطيرة تمجد النازية ، وأن علماءها نجحوا فى استخلاص الجينات الوراثية (لهتلر) قبل انتحاره ووفاته ، وهذه الجينات هى شخصية (هتلر) وسلوكياته ، وتم زرع الجينات الوراثية أو الصفات الوراثية فى أرحام نساء من ألمانيا وأوربا ونتج عن ذلك ظهور عشرات النسخ من (هتلر) فى هيئته وسلوكياته كأنما هو إنذار للبشرية أنها ستواجه (هتلر) جديدًا وكان هذا هو انتقام النازية من الغرب الذى دمر (هتلر) وأحلام النازية .

والفيلم أنفق عليه بسخاء وكان يدور حول الصراع بين علماء النازية وعلماء الغرب ، وصوروا بشاعة الغرب حين انطلق يقتل هؤلاء الأطفال قبل أن يشبوا ، وقضى عليهم حتى لا يظهر (هتلر) جديد ، وكان الفيلم من أفلام الإثارة والحركة ، وكان يقوم على اللعب فى خلايا الوراثة بحيث تكسب إمكانات جديدة لم تكن لديها وهى نفس القضية المثارة اليوم حول (الاستنساخ) وتتصل بالعلم من جانب ، وبالدين من جانب آخر .

ولقد أنتج التليفزيون الأمريكى منذ ثلاثين عامًا مسلسلًا يدور حول

نزول غزاة من أحد الكواكب وكانوا يقتلون العلماء والوزراء والقادة العسكريين والمستشارين السياسيين ، ثم يذوبون فيهم بحيث لا يفرق بين الأصل والصورة ، وأخذوا يعيثون فى الأرض فسادًا بعد احتلال مناصب هؤلاء العظام حتى اكتشف أمرهم وتم القضاء عليهم .

ونحن نؤيد الإنتاج السينمائى الذى يفجر الطاقات ويتطلع إلى المستقبل ويستشرف أبعاد القرن الحادى والعشرين ، ولعلنا نرى مثل هذا الإنتاج ، وهذا سيحقق نظرًا للتنافس بين شركات الإنتاج السينمائى ومحطات الفضاء لجذب المشاهدين ، وقد أنتجت شركة (مترو جولدين) فيلمًا عن (الديناصورات) هذا العام عرف (بحديقة الرعب) وملخصه أن أحد العلماء عثر على (ديناصور) ضخم متحجر من ملايين السنين ، ثم استخرج منه بعض (الجينات) وحقنها فى داخل أنابيب استخرج منها ديناصورات متشابهة عملاقة كلها ، وكان هدفه أن يطلقها لتفتك بالعالم لكن القوة الأمريكية استطاعت القضاء عليها ، وقد قتل العالم على يد أحد الديناصورات .

ولو راجعنا كل الأفلام القديمة التى تركزت على غزو الفضاء أو ما بعد سنة ٢٠٠٠ وما سيحدث من انفجارات نووية كل ذلك سيتحقق لأن المودع فى عقل الإنسان له أساس من الواقع ، فالإنسان لا يبتدع وإنما يستخرج المخبوء .

ولعلنى أشرت إلى أنه لما تحدث العلماء عن كروية الأرض وساقوا الأدلة القاطعة اضطهدتهم الكنيسة وأحرقتهم واعتبرتهم ملاحدة .

ولما أطلقت روسيا أول قمر صناعى استقبله المتحجرون المتشددون بأن هذا كفر وسحر ، وما كان كفرًا أو سحرًا ولكنه عقل الإنسان وطاقاته .

ولقد تسربت الأسلحة النووية بعد انهيار الاتحاد السوفيتى ، وأصبحت هناك دول صغيرة تملك أعتى الأسلحة النووية ، وقد يدفع الغرور بأحدهم إلى إشعال الحرب النووية الثالثة وهذه ستدمر كل ما صنعه الإنسان ، وكل إنتاج العقل البشرى ليرتد الإنسان ثانية إلى وضع أسوأ من الإنسان الحجرى ، لأن الإشعاع الذرى سيقضى على كل الكائنات ويلوث المياه وتعقم الأرض فلا زراعة .

لا خوف على الإسلام من التقدم العلمى

البعض يخاف من التقدم العلمي المتدفق ، وفى كل يوم يطلع علينا نبأ استكشاف جديد يبهر الألباب ، ولكن للأسف البعض يخاف من هذا التقدم ويحكم عليه حكمًا قاسيًا باسم الإعلام دون بحث ولا دراسة .

وقد لفت نظرى أن كبار العلماء عندما استقبلوا نبأ (الاستنساخ) بالاستهجان والشجب وقال الدكتور (أحمد عمر هاشم) مدير جامعة الأزهر : إن قضية الاستنساخ إحدى الإفرازات للهندسة الوراثية فى تطورها الحديث ، وهى تمثل بابًا من أبواب الشر والفتنة ويجب أن يغلق ، لأن فيه تمردًا على خلق الله .

وقال : إن الذى يستغل تطور العلم والهندسة الوراثية يخرج على دائرة التعاليم الإسلامية والدينية الإنسانية ، ويسير فى مجال الشيطان ، وأكد أن هذه الظواهر التى استحدثها العلم الحديث تؤكد أن سلاح العلم ذو حدين يمكن أن يوجه إلى إعمار البشرية أو دمارها ، وأن تمرد العلماء الملحدين فى العلوم التجريبية يمكنهم من العبث ، وطالب المنظمات الدولية ومنظمات حقوق الإنسان أن تصون حرمة الإنسان ومكانته من أن تكون عرضة لسهام الملحدين ، وقال : إننا لا نريد أن يكون التطور والتقدم سببًا من أسباب انحدار البشرية ، وانهيار كرامتها على هذا النحو المتردى ، وقد سبق وأن هاجم فضيلة (المفتى) ذلك .

وأنا لست مع من يشجبون ويهاجمون دون رؤية ، فليست عمليات (الاستنساخ) تدخلًا فى المشيئة الإلهية ولا خروجًا على الدين والأخلاق ولا تهديدًا للبشرية .

وقد ثار جدل كبير فى أول محاولات نقل الأعضاء البشرية (كالكلى والقلب) وسمعنا مثل هذا الكلام ، ثم اكتشفنا أننا أخطأنا وأن التقدم العلمى خفف آلام البشرية ولا خوف على الإسلام من مثل هذه المحاولات ،

ولا يقف الإسلام عقبة فى سبيل البحث والدراسة والاستكشاف ، ألم يقل المولى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [١] ، ولا أريد أن أذكر بما قيل قديمًا عندما هاجم العلماء (عباس ابن فرناس) أول من حاول الطيران ، وقد استلهم ذلك من الطيور ، وصنع لنفسه ريشًا وجناحين ، لكنه ذهب ضحية هذه التجربة ، وبعد ذلك تقدم العلم ، وتطور الطيران بالصورة التى نعتز بها الآن ونترحم على (عباس بن فرناس) .

لما أطلقت روسيا (قمرها الصناعى) هاجمه البعض وقالوا : إنه تحد وتمرد على الله ، ثم وضحت المسيرة وحقق العلم طفرات وخرجنا بمعلومات قيمة من وراء إرسال المركبات القضائية وإطلاق الأقمار الصناعية ، ولم ندر أن (الشمس والقمر والمريخ) وبقية الكواكب حق سخره الله للإنسان ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وما فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [٢] فلا خوف على الإسلام من أى تقدم علمى ، ولنبارك هذه التجارب ، ثم نأخذ منها ما يفيدنا .

القرآن الكريم ألمح إلى عجائب وغرائب لابد وأن تتحقق :

عندما تقرأ قول الله – عز وجل ، : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [٣] .

أفلا تثير فينا تساؤلًا حول ما يجرى ؟ فمازلنا لم نكتشف كثيرًا من الأسرار فى جسم الإنسان ، وأغوار النفس البشرية ، وسنعجز تمامًا عن معرفة هوية الروح ، لكن كل ما يجرى فى جسم الإنسان يخضع لهذه الآية (إلا

---

(١) سورة فصلت الآية : ٥٣ .
(٢) سورة الجاثية الآية : ١٣ .
(٣) سورة فصلت الآية : ٥٣ .

إذا وقفنا عند تفسير ابن كثير أو الرازى) لها وأهملنا القرون التى تفتح فيها العقل البشرى .

وعندما نقرأ قول الله – عز وجل – : ﴿ **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ** ﴾ (١) ، وهى من علامات الساعة الكبرى ، سنتوقف أمام هذه الآية لا نرفضها وإنما نتساءل : ما هى هذه الدابة ؟ وكيف تتكلم وتسمع كل البشر ؟ هل ستنتقل من مكان إلى مكان تدعو لربها أم أن كلمة (دابة) تعنى أن تتكرر صورها فى وقت واحد فى أنحاء الأرض ، ونعجز أمام استيعاب هذا ، ونقف عند حدود أنها ستعظ البشر الذين كفروا بربهم بأية وسيلة .

وعندما نقرأ ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا** ﴾ (٢) ، ونتساءل ما معنى (فما فوقها) ؟

كان القدامى يقولون : (ما هو أكبر منها) لكن العلم الحديث هدانا إلى أن ما فوقها ما هو أدق من البعوضة أى أصغر حجمًا ، وظهرت (الفيروسات ، والميكروبات ، والجراثيم) التى لا ترى إلا تحت مجهر مكبر جدًّا .

وإذا كانت البعوضة قديمًا تلسع الإنسان أو تسبب له مرض الملاريا فإننا أمام جيوش زاحفة من أنواع الحشرات والميكروبات تطلبت منا جهدًا كبيرًا لمقاومتها ، وهل معنى ذلك أننا نعرف كل الأسرار ؟ لا ففى كل يوم يظهر لنا جديد يهز العقول ويخلع القلوب ، وثبت أن (الخلية السرطانية) مثلًا وحش فتاك لا يمكن مقاومته إلا بما هدانا الله إليه .

وإذا ما توقفنا أمام حمل (السيدة مريم) بدون مساس رجل أى لا نطفة إطلاقًا ، ولا حيوانًا منويًا ، ولا بويضة كما يحدث للمرأة العادية

---

(١) سورة النمل الآية : ٨٢ .
(٢) سورة البقرة الآية : ٢٦ .

والحمل المألوف وقفنا أمام قوة كبرى تملك كل شيء ، ولهذا رد الملك على سؤال السيدة مريم لما تعجبت للحمل بدون مساس رجل ﴿ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (١) .

فعملية (الاستنساخ البشرى) هل تخرج عن دائرة المشيئة الإلهية ؟ لا ، فإن الله يعلم ذلك ، وربما أراد للبشرية الخير ، وربما أراد أن يعاقبنا بسوء أفعالنا فيكون (الاستنساخ) تكملة لسلسلة الكوارث التى ابتليت بها البشرية والأمراض التى مزقتها ، والحروب التى دمرتها .

ما هى حدود التفكير العلمى فى الإسـلام ؟

سؤال يجب أن نتوقف عنده ، ونحاول الإجابة عليه ، والإجابة تكمن فى قول رسول الله ﷺ : « تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله فتهلكوا » .

وهذا الحديث يشير إلى أن الله - عز وجل - أباح لنا النظر فى كل دقائق الكون ، والبحث فى أسرار الكائنات واستخراج الكنوز برًّا وبحرًا وجوًّا ، ومواكبة زيادة عدد البشر لنوفر لهم الحياة ، فما منعنا أن نغوص فى بحر أو نحلق فى جو أو نرتقى فوق الجبال ، وإنما أطلق للإنسان العنان لينقب ويبحث ويستفيد بكل شيء حوله ، ولعل فى هذا الآيات الثلاث ما يؤكد هذه الحقيقة ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (٢) .

هل سيطرنا على الأرض ؟ هل تغلبنا على عوائقها ؟ هل أزلنا الأحراش وعمرنا كل الصحراء وأخضعنا المحيطات ومسحناها ، وهل أحصينا كل ما

---

(١) سورة آل عمران الآية : ٤٧ .
(٢) سورة الذاريات الآيات : ٢٠ - ٢٢ .

فى الأرض من حيوان وطائر وحشرة ؟ وهل أحصينا ما فيها من نبات ؟ وهل استخرجنا كل ما فيها من معادن ؟

ماذا كان حال البشر قبل اكتشاف البترول ، كانوا يعيشون فى ظلمة ، ويركبون الخيول والبغال والحمير والجمال ، فلما سيطروا على الطاقة سيّروا القطارات وأطلقوا الطائرات والسيارات وأداروا المصانع .

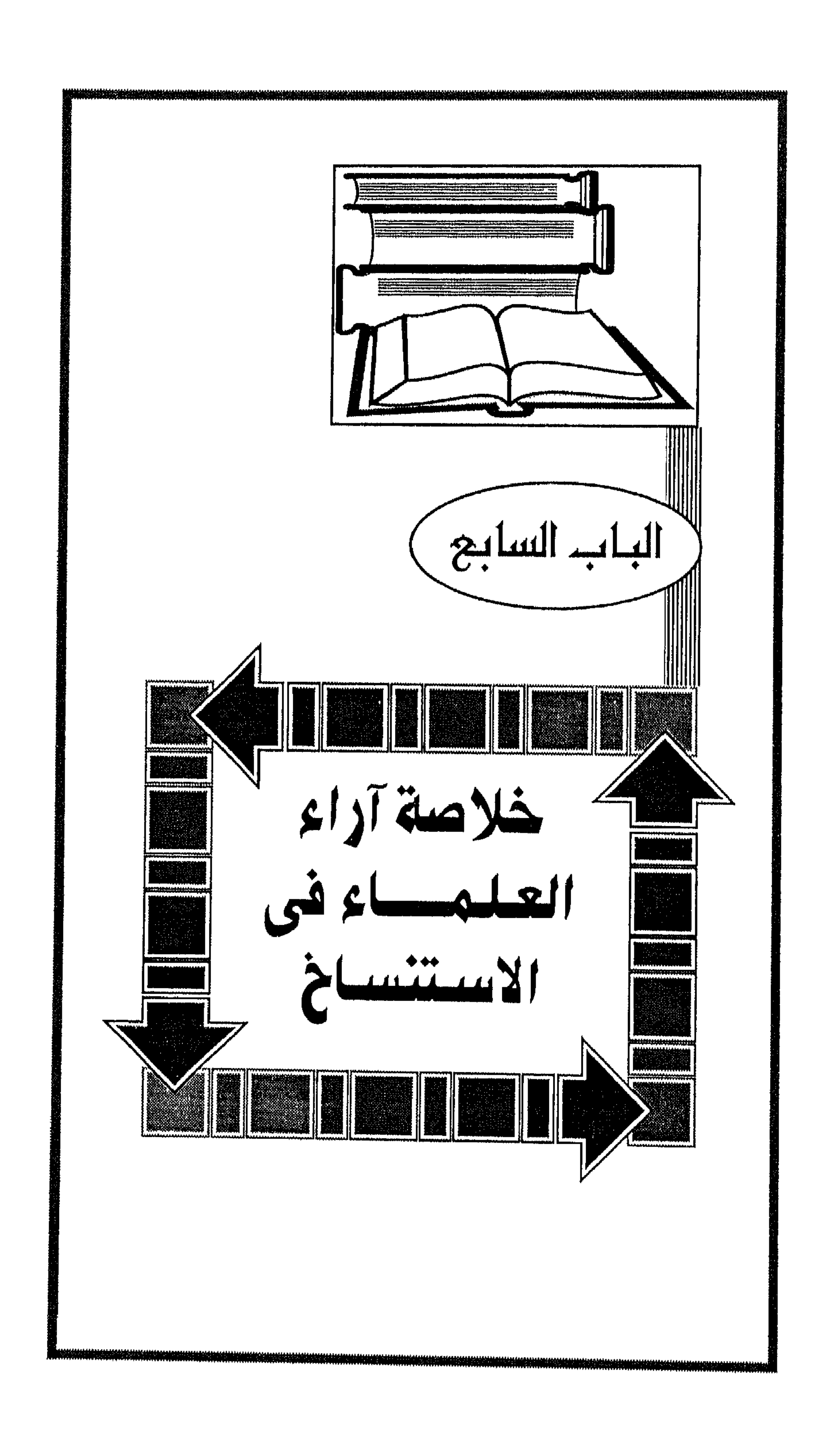
فكر الإنسان فى نفسه ، وراجع أعضاء جسمه فماذا حدث ؟ نجح فى التوصل إلى أجهزة وأدوية ووسائل تخفيف آلامه وتحميه من الأخطار والتلوث ، والآية الثالثة ﴿ وَفِى السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [1] كان العرب يظنون السماء هنا (المطر) لكن السماء الآن هى الكواكب ، فإذا ضاقت الأرض بأهلها ماذا يصنع الإنسان ؟ يلجأ إلى الكواكب المتشابهة مع الأرض ويستخرج منها الرزق (وكلمة الرزق) الأكل الحلال ، ومعنى ذلك أن الكواكب بها معادن وماء وحياة يمكن أن تعوض الإنسان عن النقص .

وآخر الاستكشافات والمعلومات التى أرسلتها مراكب الفضاء أن المريخ به حياة شبيهة بالأرض ، بل وتقسيماته تشبه تقسيمات الأرض (جبال وصحراوات وسهول) ، لا يهم أن يكون فيها بشر ولكن الإنسان سيستفيد .

ومازالت البشرية تعجب لما يعرف (بالأطباق الطائرة) وعاجزة عن تفسير لغزها ، وكانوا يقولون : إن روسيا ترهب أمريكا ، أو أن أمريكا ترهب روسيا ، وقد ثبت أن الطرفين عاجزان عن كشف غموض هذه الأطباق الطائرة رغم أنها صورت بكاميرات متطورة ، فهل يعنى هذا أن فى الكواكب مخلوقات أكثر تطورًا منا ، ويمكن الاستفادة بعلمها وتقدمها (هذا جائز) .

إن الله – عز وجل – يطلق العقول البشرية لتفكر وتبدع ، ولكن تبتعد عن دائرة هامة هى (الذات الإلهية) فالتفكير فيها يؤدى إلى الضلال والحيرة ، ولن نصل لشىء ، وإذا كانت (الروح) المودعة فى أجسامنا نعجز عن هويتها ومدلولاتها فما بالك (بالذات الإلهية) .





الباب السابع

خلاصة آراء العلماء فى الاستنساخ



الباب السابع

خلاصة آراء العلماء فى الاستنساخ

أولًا : آراء علماء الطبيعة :

أثار نبأ استنساخ النعجة (دوللى) من خلية جسمية من ثدى نعجة دويًا هائلًا ، وردود فعل واسعة فى العالم تتراوح بين الاندهاش والاستنكار .

وهذه التجربة العلمية لا تقل أهمية عن اكتشاف الميكروبات والمضادات الحيوية والذرة وغزو الفضاء (فهذه التجربة تفتح الباب على مصراعيه لمناقشة مصير البشرية) والعلم فى كل يوم يطالعنا بجديد .

ويجب قبل الاستنكار والانفعال أن نناقش الأمر مناقشة علمية موضوعية كما علمنا الإسلام ، ولعلنا نذكر أنه طوال التاريخ كان كل من يأتى بجديد يتهم بأنه كافر ، وقد أحرقوا العلماء الذين نادوا (بكروية الأرض) (وقانون الجاذبية) (ودوران الأرض حول نفسها وحول الشمس) واتهموا (انشتاين) بالزندقة والإلحاد لنظرية (النسبية) وفصل من الجامعة التى يعمل بها .

والاستنكار لن يمنع إجراء هذه التجارب ، فهو طريق العلم (والبشرية تقدمت بهذه التجارب) .

ولعلنا اعترضنا على (أطفال الأنابيب) ثم أقر الجميع ذلك وهو نفس الشيء مع قضية (الاستنساخ) عمومًا (والاستنساخ البشرى) خصوصًا ، وتجربة القنبلة الذرية أشد خطرًا من عملية (الاستنساخ البشرى) والتى استطاع طلاب فى كليات العلوم صنعها (ولم تعد سرًا خفيًا) .

وعلم الهندسة الوراثية من العلوم التى سوف يقوم على أساسها طب

القرن الحادى والعشرين فى شتى التخصصات (ونقل الأعضاء البشرية) سواء من موتى أو أحياء ، وستصبح مثل إجراء عملية (الزائدة الدودية) .

ولا غبار عليه من الناحية الشرعية لأن رسول الله ﷺ أمرنا بالتداوى من كل الأمراض « تداووا عباد الله فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء » والنبى عليه الصلاة والسلام لم يحجر على أحد ، وكان يقول : « أنتم أدرى بأمور دنياكم » وتراجع فى مسألة (تأبير النخل) وقال عن الدواء (هو قدر الله) ، وفى الإسلام دفع الضرر مقدم على جلب المنفعة ، وأيضًا « لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام » .

والإسلام يدعونا أن نأخذ بعلم الآخرين من شرق وغرب مادام سيخفف الآلام ، وقد مرض (سعد بن أبى وقاص) وجاء النبى ﷺ ووضع يده على صدره وقال : إنك رجل مفؤود ، ائت الحارث بن كلدة ، فإنه رجل يعرف الطب (رغم أنه وثنى) لأنه كان صاحب خبرة فى الداء والدواء .

ولعلنا نطرح سؤالًا : لماذا نستنسخ الأجنة فى البشر ؟ وما هو الضرر المتوقع حدوثه ؟

وللإجابة على هذا نقول : هناك نوعان من الاستنساخ :

١ - **الاستنساخ الجسدى** : أو اللاجنسى وهو يشبه لما حدث فى حالة النعجة (دوللى) فأخذ خلية جسدية ناضجة تحتوى على ٤٦ كروموسوم من جسم إنسان بالغ ونضع نواتها فى بويضة أنثى بعد تفريغها من النواة التى تحتوى على المادة الوراثية على ٢٣ كروموسوم وبواسطة (طاقة كهربائية يحدث الاندماج ثم الانقسام وتكوين الجنين الذى يتم زرعه فى رحم الأم) وهنا يحمل الجنين كل الصفات الوراثية للشخص الذى أخذ الخلية الجسدية منه .

فإذا أخذت الخلية من أنثى كان الجنين أنثى ، وإذا أخذت من رجل يصبح ذكرًا ، ويمكن الاستغناء عن الرجال نهائيًا ، فالإنجاب يمكن أن يحدث بخلية من الأم تلتقى ببويضة صديقتها التى تعاشرها جنسيًا .

وهنا ينقسم المجتمع إلى نساء ورجال ، وهذا سيضعف الأجيال التالية لأن مزج (الجينات) للرجال والنساء من غير الأقارب هى التى تقوى النسل ، وربما أدت عملية الاستنساخ إلى ظهور مسخ مشوه خطر على البشرية ، علاوة على الأمراض الخطيرة التى ستجدّ مثل (السرطان) .

وقد قيل : إن فيروس مرض (الإيدز) جاء نتيجة التجارب فى إنتاج الأسلحة الميكروبية بواسطة (الهندسة الوراثية) فحدثت طفرة نتج عنها فيروس (الإيدز) .

وتكرار عملية الاستنساخ يضعف الخلية ، وبالتالى تصاب بالشيخوخة فينشأ أجيال تغلب عليها الشيخوخة قبل الصبا ، وربما أدى ذلك إلى قصر أعمار البشر .

والحقيقة أنه يجب أن نقف عند مشيئة الله التى أرادت أن ينشأ الإنسان من ذكر وأنثى (لا من واحد منهما) ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾[1] .

٢ - **الاستنساخ الجنسى** : وهو الذى يحدث من التقاء الحيوان المنوى للذكر ببويضة الأنثى وكل منها يحمل نصف عدد (الكروموسومات) كى يكتمل العدد فى (النطفة المخصبة) ومن هنا يتكون (التوائم التطابقية) ويمكن بعملية الانقسام أن ينشأ توائم أكثر .

وإذا كانت حجة العلماء أنهم يريدون زيادة نسبة نجاح أطفال الأنابيب أو الإخصاب خارج الرحم ، فمن الذى يضمن ألا تستخدم هذه الأجنة فى البيع أو الإيجار (وقد احتفظوا بأكثر من جنين فى الثلاجة) على شكل محتوى خلوى فى نتروجين سائل عند درجة ٨٠ تحت الصفر غير التى زرعها فى رحم الأم الأصل لكى يبيعها لامرأة أخرى .

ويجب تشديد الرقابة على هذه المعامل لأن البعض من ذوى النفوس

(١) سورة الحجرات الآية : ١٣ .

الضعيفة قد يتلاعب فى (الحيوان المنوى) أو (البويضات) ومن هنا يحدث (اختلاط الأنساب) والأصول .

وقد طرد أحد الأطباء فى الولايات المتحدة لأنه كان يلقح كل النساء بحيواناته المنوية هو شخصيًا (وكان فى عينيه حول) فخرج كل الأطفال وفيهم حول .

ولعلنا نناقش محاولة النسخ من أجل تفادى الأمراض الوراثية ، والولايات المتحدة سبقت فى ذلك وحصرت كل أنواع الأمراض الوراثية التى تصيب الأجنة ، ومحاولة عزلها ليخرج جيل نقى ، وقد نجحت فى علاج أمراض كثيرة يصاب بها الأطفال (كنقص المناعة) (وأمراض المخ والأعصاب) والخطورة فى أنهم يُعِدُّون أطفالًا لتباع أعضاؤهم بعد ذلك (كأن الإنسان أصبح كقطع الغيار) .

والبحث عن (الاستنساخ) لتكرار صفات وأشكال معينة ليس فى صالح البشرية ، فالصفات التى يراها البعض نعمة هى عند الآخرين نقمة (فهتلر) كان يتمتع بقوة الشخصية لكنه قاد البشرية إلى الهلاك ، والزعماء الكبار يملكون تدمير البشرية لأنهم يحملون حقائب الأرقام السرية للأسلحة النووية ، ويمكن أن يصابوا بأمراض فى المخ أو الأعصاب فتنهار إرادتهم ويدوسون على الأزرار فتتحرك الأسلحة النووية لتمحوا الكرة الأرضية .

إن الإسلام يدعو إلى بذل الجهد للوقاية من الأمراض الخطيرة ، ولكن لايسمح للإنسان أن يلعب دور الإله فى تغيير الخلق ، فهذا عمل شيطانى والله نبه إلى خطورة الشيطان ﴿ **إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا * لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا * وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا** ﴾ [1] .

---

(١) سورة النساء الآيات ١١٧ - ١٢٠ .

مخاطر الاستنساخ على الأخلاق والإنسانية

القرن العشرون لا يريد أن يرحل إلا بعد أن يترك للبشرية مفاجآت من حروب مدمرة وأفكار شاذة وتقاليع شيطانية وتجارب خطيرة ومنها (الاستنساخ البشرى) .

والإنسان لم يكتف بالقنابل الذرية والميكروبية والكيمائية ، وما أحدثه فى (الهندسة الوراثية) فى الزراعة والحيوان حتى تخطى الإنسان ، وكانت القنبلة المدوية هى تجارب (الاستنساخ البشرى) مما جعل علماء الدين والأخلاق والذين يحاولون تحذير الإنسان من تدمير نفسه .

فالاستنساخ البشرى أشبه بمارد خرج من القمقم يهدد البشرية ولم يعد من السهل السيطرة عليه .

والاستنساخ فى مجال الزراعة والحيوان مقبول ؛ لأننا نريد مزيدًا من الطعام (لكن فى عالم البشر خطر جسيم) وقد أحسن رؤساء الدول الكبرى حين منعوا من إجراء هذه التجارب ، لأنهم يدركون خطورتها .

والاستنساخ البشرى يقضى على العلاقة القديمة بين الرجل والمرأة ، ويجعل المرأة تستغنى عن الرجل وتختلط الأنساب ، وتضيع القيم التى قامت عليها البشرية من زواج وتأسيس أسر .

ونقل الجينات معمليًا يؤدى إلى تدمير الروابط العائلية المقدسة بين الأبناء وآبائهم ، والإنسان المستنسخ لا ندرى أى صفات يحمل هل من أخلاقية أم عدوانية ، والله عز وجل تعهد الإنسان بالرعاية حتى قبل أن يولد فاختار له الأبوين ووفر له الحماية والرعاية .

والخلق بيد الله وحده ، كما قال سبحانه : ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1] .

---

(١) سورة الإسراء الآية : ٨٥ .

والله قال : ﴿ خَلَقَ السَّمٰواتِ والأرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ خَلَقَ الإنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾[1] وقوله : ﴿ الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰواتِ والأرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ ﴾[2] .

فالخلق من الله ، وهو الإيجاد من عدم ، والجعل هو التحويل من الظلام إلى النور ، والإنسان يمر بظلمات ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ﴾[3] ، والله هو خالق الروح التى بها تحيا الكائنات ، فإذا ما سلبها منها ماتت ، ويجب عدم تخطى الحدود المشروعة فى الابتكار العلمى .

والإنسان المستنسخ سيكون عبدًا للعلماء وملكًا لهم يوجهونه حسب أهوائهم ، وربما تحول إلى آلة بشرية مدمرة كما نعلم عن الآلات الحديدية وما يعرف (بالإنسان الآلى) وما يمكن أن يصنعه ، وإذا كان الله عز وجل هو الخالق الذى يعلم أبعاد الإنسان طولًا وقصرًا ، بياضًا وسوادًا ، ذكاءً وغباءً ، سعادة وشقاءً ، علمًا وجهلًا ، فإن (الإنسان المستنسخ) مهما قيل فهو ضمن مخلوقات الله وفى قبضته .

والذين ادعوا أنهم يخدمون النساء اللاتى عجزن عن الزواج أو الإنجاب فهم واهمون ، فالله هو الذى خلق وهو الذى قدر : (إنجاب الذكور فقط ، وإنجاب الإناث فقط ، وإنجاب النوعين معًا ، وجعل البعض عقيمًا) لتستقيم الحياة ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰواتِ والأرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وإنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[4] .

---

(١) سورة النحل الآية : ٣ ، ٤ .
(٢) سورة الأنعام الآية : ١ .
(٣) سورة الزمر الآية : ٦ .
(٤) سورة الشورى الآية : ٤٩ .

ولا يعقل أن يكون الرجال والنساء عاجزين عن النسل لنلجأ للاستنساخ ، والعلم الذى لا يستند إلى عبادة الله هو علم مدمر ﴿ **واتَّقُوا اللَّه ويُعلمكم اللَّه** ﴾ [1] .

ورغم تقدم علم الزراعة إلا أن التجارب أثبتت أنها جلبت وبالًا على الزراعة ، وليس مرض (إيدز النخيل) ببعيد ودمرت آلاف النخلات ، وما تحدى الإنسان قواعد الله ونقل البقرة آكلة النبات إلى أكل مسحوق عظام البقر أى أنه يأكل نفسه أدى ذلك إلى مرض (جنون البقر) ، وفقدت انجلترا ثروة حيوانية بعد أن قاطعتها الدول .

والله أنذر البشر إذا ما اعتقدوا أنهم سيطروا على الأرض دمرها الله (وهو من علامات الساعة) كما قال ربنا ﴿ **حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ** ﴾ [2] .

فإذا اعتقد الإنسان أنه قادر على الخلق فإن الله سيدمره ، ومهما نجحت عمليات (الاستنساخ) فلابد وأن نعلم أن الله هو الخالق لأنه يملك الروح ، وهكذا سيظل الإنسان عاجزًا عن معرفة سره ، والإنسان إذا ما طور البذرة لكى يكبر حكمها ، ويطعم نباتًا بنبات ، أو يحدث التهجين فى النبات والحيوان فهذا علم لا حجر عليه ، لأنه لا يدخل فى (شبهة الخلق) .

الاستنساخ قديماً كان سرًا ثم شاع :

بدأت عمليات الاستنساخ فى (الجزر) ونجحت فى إنتاج نبات طبق الأصل عن طريق التكاثر الخضرى ، غير الجنسى ، ثم بدأت التجارب على (الضفادع) ونجحت ، ثم تطورت على الثدييات (كالفئران) ، ونجحت

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٨٢ .
(٢) سورة يونس الآية : ٢٤ .

ثم انتقلت إلى الحيوان ، وكانت النعجة (دوللى) هى المفجرة للقضية ، خرجت نسخ من نتاج خلية مجمدة مأخوذة من ضرعها .

والكائنات بها خلايا عديدة من كثير من النواة والتى تحمل البرنامج الوراثى ، فإذا ما نزعنا النواة حدث التكاثر الغير جنسى .

والاستنساخ فى النبات والحيوان مفيد فى (علم الأجنة) لتحسين السلالات ، أما الإنسان فلا يصح أن يكون حقل تجارب (كالفئران) .

والعلم الإسلامى قادر على أن يقدم للغرب القيم الرفيعة وينذرهم بعواقب الخروج على قوانين الله (فقد أهلك الله قوم لوط لما خرجوا على طاعة الله) .

والتقدم العلمى سلاح ذو حدين ، يخدم البشرية بالاكتشافات النافعة ، ولكن من ناحية أخرى قد يصيب البشرية بأمراض خطيرة .

فالذَّرَّة تستخدم فى علاج كثير من الأمراض ولكن الاشعاعات الذرية قاتلة (وتلوث البيئة) نتيجة التقدم الصناعى أصبح خطرًا على الإنسان ، كما أن القنابل الذرية يمكن أن تنسف الكرة الأرضية ، وليست القنبلة الذرية التى ألقيت على (هيروشيما ، ونجازاكى) باليابان ببعيدة ، وكانت كلعب الأطفال بالقياس للقنابل الذرية الحالية ، والقنابل الهيدروجينية ، والقنابل الكيماوية .

وزراعة الأعضاء البشرية لتخفيف آلام المرضى ولكن الخطورة فى أن تتحول إلى تجارة ويمتلكها عصابات قد تضحى بالإنسان من أجل غاياتها ، وقد يتسبب عن قتل الشبهاء فى عملية الاسنساخ مادام الإنسان له أكثر من شبيه .

الاستنساخ سيجعل الأطفال لا مكانة لهم عند الأبوين ، مادامت هناك نسخ منه فتهمل تربيته وعلاجه وأموره ، ولم يعد الطفل ذا مكانة ، وقد يكون هناك استنساخ من العباقرة لكن من يدرى ربما كان المستنسخ غبيًا

فيصبح مهزلة (قد يخدم الزعماء الذين يخافون من الاغتيالات فيأتى المستنسخ ويحل محله فى الاحتفال) لكن قد يوقعه فى الخطأ لأنه ليس لديه معلومات الأصل .

والاستنساخ سيوجد العداء بين الأصول والفروع ، فالفرع سيكون شابًا بينما الأصل شاخ ، وتغار الأم من شبيهتها والبنت من نسختها ، بل إن الولد سيكون أكبر عمرًا من نسخة أبيه ، فماذا يقول له ؟

إن كل القيم الإنسانية ستصبح تحت أقدام عملية الاستنساخ .

ثانيًا : آراء علماء الدين

تكريم الله للإنسان والعلم :

ولقد اهتم العلماء بهذا الموضوع ، وكذلك رؤساء الدول ، ورجال الدين الإسلامى والمسيحى ، ومنعوا إجراء التجارب لما يعرفون من خطورته ، وعلى العلماء أن يدرسوا الظاهرة دراسة متأنية وألا يسارعوا بالشجب والاستنكار بدون دليل .

وواضح أن الاستنساخ البشرى له مضار على الجنس البشرى أخلاقية واقتصادية واجتماعية وسلوكية ، والله قال عن الإنسان ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** ﴾[1].

والله أراد تكريم الإنسان وعدم المساس بصحته أو جسده حيًا أو ميتًا ، وألا يتحول إلى حقل تجارب (كالفئران والأرانب) .

والإنسان الشبيه قد يستخدم فى الجرائم الخطيرة ، وقد يطأ زوجة شبيهه على أنه هو) ويمكن للشبيه الهرب بعد ارتكاب الجريمة مما يعوق عمل رجال الأمن .

---

(١) سورة الإسراء الآية : ٧٠ .

وإذا انتشر الاستنساخ كيف تنتظم أحوال المواريث ؟ وهل الابن الأصلى يكون مثل (الإنسان المستنسخ) ولا أملك إلا قول الرجل المؤمن إلى فرعون : ﴿ وأُفَوِّضُ أمْرِىَ إلَى اللَّهِ إنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ ﴾ [1] .

ولابد من وضع هذه المعامل تحت رقابة صارمة ، وإصدار التشريعات والقوانين الرادعة ، لأنه ربما استثمر الأجانب أموالهم فى بلادنا فى هذا المجال .

والذى يطمئن أنه لأول مرة اجتمع الرأى سواء من المسلمين أو غير المسلمين على رفض (الاستنساخ) لخطورته وهو غير جائز من الناحية العلمية والطبية والأخلاقية والدينية والاجتماعية ، والله امتدح العلماء وقرنهم فى الشهادة بوحدانيته ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أنَّهُ لَا إلَهَ إلَّا هُوَ والْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائمًا بالقِسْطِ لَا إلَهَ إلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [2] .

وفضل العالم على العابد ، والاستخلاف فى الأرض ، وتحقيق الخلافة يكون بالعلم ﴿ وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ ﴾ [3] .

والعلم يجب أن يقوم على ثلاثة أمور : (الإيمان ، والأخلاق ، وخدمة البشرية) ، فالعلم والإيمان وحدهما لا يكفيان إلا إذا أنتجا عملاً صالحاً يسعد البشرية .

والعلم يجب أن يحافظ على خمسة هى مقومات الحياة : (الدين ، والنفس ، والنسل ، والعقل ، والمال) والاختلال فيها فساد للبشرية ، والله خلق البشرية من زواج سليم ومن ذكر وأنثى ، وأدى ذلك إلى التكاثر :

---

(١) سورة غافر الآية : ٤٤ .
(٢) سورة آل عمران الآية : ١٨ .
(٣٢) سورة الأنعام الآية : ١٦٥ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ ﴾ (١) .

إن الإسلام لا يرفض (نقل الأعضاء) من الموتى أو الأحياء لخير البشرية ومواجهة الحالات الخطيرة على ألا تتحول العملية إلى تجارة وإجرام وقتل الأبرياء ؛ لأخذ أعضاء أجسادهم ، والرسول ﷺ قال « الإنسان بنيان الله ملعون من هدم بنيان الله » فلا مانع من نقل (الكلى والكبد والأعين) ونحن لسنا فى حاجة إلى (الاستنساخ البشرى) والبشرية تعانى من الزيادة السكانية الرهيبة التى تلتهم مدخرات الدول ، وننادى (بتنظيم الأسرة) والاكتفاء بطفلين أو ثلاثة ، والاستنساخ سيزيد البشرية إلى مليارات إذا أخذنا من الواحد مائة .

لا تعارض بين الدين والعلم السليم الذى لا يخرب فى الأرض ﴿ واللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ (٢) .

والعلم يدعو إلى الأخذ بقوانين الله الذين خلق الإنسان ، وهو أعلم به ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٣) .

والاستنساخ البشرى ليس خلقًا ، فالخالق هو الله ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (٤) ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرَائِبِ ﴾ (٥) لكن الاستنساخ عبث بالخلايا (وإفساد خلق الله) .

---

(١) سورة النساء الآية : ١ .
(٢) سورة البقرة الآية :
(٣) سورة الملك الآية :
(٤) سورة العلق الآيتان : ١ - ٢ .
(٥) سورة الطارق الآيات : ٥ - ٧ .

والاستنساخ سيوجد بشرًا من غير الطريق الطبيعى (وهو الزواج) ويحدث فوضى فى التناسل ، وضياع الأنساب ، وإخلال بالعلاقات الزوجية ، والإنسان الذى ليس له أب ولا أم ضائع (واللقيط) يعانى بل إن اليتيم يعاني من اليتم ، وكيف نهمل الغرائز التى أودعها الله فى الإنسان لصالحه (الغريزة الجنسية ، غريزة الأبوة والأمومة ، والحنان) .

فالاستنساخ فى النبات والحيوان مقبول لخدمة البشرية لكنه مرفوض فى الإنسان ، ورفض الاستنساخ راجع إلى أنه فصل لخلية غير جنسية أى ليست من أب وأم معًا ، وقد يؤدى الاستنساخ إلى تغليب جنس على جنس حسب الهوى (وتصبح الأجنة سلعًا تباع وتشترى) .

والاستنساخ يختلف عن الهندسة الوراثية التى تقوم بإصلاح خطأ فى أعضاء الجسم وعزل المسببات للأمراض ، ولكن لا تتدخل فى الأجنة ، والاستنساخ يضعف البشر بطول طبع النسخ ويؤدى إلى أمراض لا تتحملها البشرية ويكفينا (مرض الإيدز) الذى أهلك الملايين ويحطم جهاز المناعة نتيجة خروج الإنسان على قوانين الله ، والممارسات الجنسية الشاذة ، ولحس السائل المنوى ، ومص الفروج ، والاستنساخ سيؤدى إلى مزيد من حالات الإجهاض المستمر حتى يقضى على الأنثى .

والاستنساخ يلغى شخصية الإنسان المستمرة ، ويتحول إلى دمى يحركها العلماء ، وقد يؤدى الاستنساخ إلى ظهور مخلوقات شاذة غير بشرية تهدم وتمتص الدماء ، كما رأينا فى بعض الأفلام السينمائية .

وعلى أجهزة الرقابة فى وزارة الداخلية والصحة ونقابة الأطباء إحكام المراقبة حتى لا تجرى هذه التجارب سرًا فى معامل خاصة ، وإصدار التشريعات التى تحدد (هوية الجنين) وحقوقه فى الحياة ، ومراقبة خاصة للعلماء الأجانب الذين يعملون فى معاملنا ، والذين لا وازع عندهم من دين أو أخلاق .

ويجب أن نفرق بين (الاستنساخ) (وأطفال الأنابيب) فهؤلاء من أب معلوم ، وأم معلومة ، أما الاستنساخ فضياع ، والمعروف أن الله سخر الكون للإنسان ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (1) ولا يمكن أن يسخر الإنسان للمادة .

القرآن يرفض الاستنساخ البشرى :

كل الآيات القرآنية أكدت أن الله هو خالق الإنسان ﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ (2) ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (3) ، وأن الإنسان جاء من زواج شرعي بين ذكر وأنثى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (4) ، وأن الإنسان خلق من نطفة ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ (5) ، وأنه جاء من منى يمنى عن طريق القذف فى رحم المرأة ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ (6) .

ويقول ربنا ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ (7) ويقول سبحانه : ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ

---

(1) سورة الجاثية الآية : ١٣ .
(2) سورة لقمان الآية : ١١ .
(3) سورة الطور الآية : ٣٥ .
(4) سورة الحجرات الآية : ١٣ .
(5) سورة المؤمنون الآيتان : ١٢ ، ١٣ .
(6) سورة القيامة الآيات : ٣٦ - ٤٠ .
(7) سورة المرسلات الآيتان : ٢٠ ، ٢٣ .

مِــمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾[1] ، ووضع الله فى النطفة كل خصائص الإنسان بحيث لا يتشابه إنسان مع آخر ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[2] والله جعل الرحم هو مستقر الإنسان فى الخلق الأول ، ووضع الرحم فى مكان حصين حتى لا يتعرض للهزات والأخطار ، وفى الرحم صوره ﴿ هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُم فِى الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾[3] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾[4] .

ويمر الإنسان بسبعة أطوار كما قال الله على لسان نوح ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾[5] وفصلها فى قوله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾[6] .

والله قال : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾[7] والحياة فى الكائنات تقوم على الزوجية ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا

(١) سورة الطارق الآيتان : ٥ ، ٦ .
(٢) سورة الإنسان الآيتان : ٢ ، ٣ .
(٣) سورة آل عمران الآية : ٦ .
(٤) سورة النجم الآية : ٣٢ .
(٥) سورة نوح الآية : ١٤ .
(٦) سورة المؤمنون الآيات : ١٢ - ١٤ .
(٧) سورة الزمر الآية : ٦ .

﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [١] ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [٢] ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [٣] .

فما أراد الله أن يكون الإنسان ضائعًا أو يخلقه عبثًا ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [٤] ، ولقد استمرت البشرية آلاف السنين على هذا ، وقد يحدث خلل يكون من الإنسان لكن الله أحكم صنعته ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [٥] وأحسن خلق الإنسان ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [٦] فلابد من التواجد فى الرحم فى بطن الأم ليحسن غذاؤه وتتم رعايته ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٧] .

والله جعل الزواج سببًا فى الإنجاب وتقوية الروابط بين البشر ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [٨] ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [٩] .

---

(١) سورة يس الآية : ٣٦ .
(٢) سورة الذاريات الآية : ٤٩ .
(٣) سورة نوح الآية : ١٤ .
(٤) سورة المؤمنون الآية : ١١٥ .
(٥) سورة النمل الآية : ٨٨ .
(٦) سورة السجدة الآيات : ٧ - ٩ .
(٧) سورة النحل الآية : ٧٨ .
(٨) سورة الروم الآية : ٢١ .
(٩) سورة الفرقان الآية : ٥٤ .

وجعل الحياة امتدادًا من الأبناء إلى الأحفاد ﴿ واللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ (١) وقد حصن الله الجنين من كل عوامل الأذى والمرض ، فحرم الزنا حتى لا يختلط الماء وحتى لا تنتقل أمراض الزهرى والسيلان وغيرهما ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٢) ، والزنا اعتداء على الأعراض وضياع للأنساب .

وحرم إتيان الزوجة وقت المحيض لأن المحل يكون غير طاهر والدم مليء بالجراثيم والميكروبات ، وإذا قدر ولد جاء مشوهًا أو معتوهًا أو مختلًّا عقليًّا ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٣) .

فالله سبحانه أراد للإنسان أن ينشأ من أبوين وينمو فى رحم أمه ، ثم يولد فيجد العناية والرعاية وحسن إرضاعه وتربيته ، حتى يشب عن الطوق ، أما (الاستنساخ) فكما يربى (كتاكيت) لا عاطفة ولا مودة ورحمة .

الاستنساخ سبقت له مقدمات :

كان العلم يحبو فى طريق الاكتشافات ، والأجهزة قاصرة عن إرضاء طموح الإنسان ولكن بالمثابرة والصبر تقدم العلم فى مجالات كثيرة .

فأول من حاول الطيران ودفع الثمن غاليًا هو العربى (عباس بن فرناس) دفع حياته ثمنًا لتجاربه ، وسار على طريقه رجال حتى تحقق

---

(١) سورة النحل الآية : ٧٢ .
(٢) سورة الإسراء الآية : ٣٢ .
(٣) سورة البقرة الآية : ٢٢٢ .

الطيران ، وتنوعت الطائرات ، وتطورت حتى حقق الإنسان حلمه البعيد فصنع (سفن الفضاء) وأطلق (الأقمار الصناعية) وها هو يغزو الكواكب .

كان الإنسان لا يتصل بأخيه إلا مواجهة ، ثم حقق نقل الصوت (بالمسرة) ثم (الإذاعة) ثم نقل الصورة (بالتليفزيون) وقصرت الأقمار الصناعية المسافات حتى أصبحت الأرض قرية صغيرة بعد ثورة الاتصالات ، والتليفون المحمول ، والتليفون المصور .

وفى الطب كانت المرأة إذا تعسرت ولادتها تعرضت للموت ، أو التضحية بالجنين ، ثم توصل العلماء للولادة القيصرية ، وأصبح سهلًا على الحامل أن تجرى لها هذه العملية من أن (تطلق) وتعانى آلام الوضع ، وأصبحت الولادة القيصرية كإجراء عملية الزائدة الدودية .

وولدت المرأة توأمين فيهما من التشابه الشيء الكثير وخاصة (التوائم اللاصقة) .

وكان من الصعب أن تلد العاقر اللهم إلا بمعجزة ، كامرأة إبراهيم عليه السلام السيدة (سارة) ﴿ **قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا الشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ** ﴾[1] ، وكذا معجزة الله مع (امرأة زكريا) عليه السلام .

وتقدم الطب ونجح العلاج ، وعولجت العاقر (أو من به ضعف جنسى) وولدت العاقر ثمانية توائم ، وعاشوا بصحة جيدة ، ثم كانت المعجزة فى نقل جنين من بطن أمه إلى رحم امرأة أخرى ترعاه حتى تلده مخافة أن تموت الأم الحقيقية التى لا تحتمل الولادة ، ونجحت التجارب ، ثم كانت ثورة (طفل

---

(١) سورة هود الآيتان : ٧٢ ، ٧٣ .

الأنابيب) ، لأن الحمل لا يستقر فى رحم الأم ، وخرج أطفال الأنابيب ثم بدأت ثورة (الاستنساخ) مع النبات ، فكبرت الثمرة ، وزادت الأنواع ، ونفس الشيء فى الحيوان ، وهذا أمر نرحب به مادام يمد البشرية بالغذاء (ولا تعارض فى ذلك مع مشيئة الله) والله سبحانه هو الخالق وسيظل هو المتفرد بالخلق مادام يملك (سر الروح) .

لكن الخوف من (الاستنساخ البشرى) ليس لأنه تدخل فى إرادة الله -حاشاه - وإنما لأنه سيجر على البشرية ويلات ، وتضعف الأجيال ، وتنهار القيم وتضيع الأنساب ، وتنمحى (الأمومة ، والأبوة ، والروابط الأسرية) ويتعرض المجتمع لموجات من العنف والإجرام عن طريق التشابه بين الأفراد ، وتتمزق الروابط التى تقوم على المصاهرة والمواريث واستقرار الأسر ، ويتحول الإنسان إلى سلعة تباع وتشترى ، والشيطان يسعده ذلك أن يغير الإنسان فى خلق الله ، وأن تشوه الصورة الكريمة للإنسان والله يقول : ﴿ **إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا * لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا * وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا** ﴾ [٢]

إننا نرحب بكل تقدم فى العلم يخدم البشرية ، نرحب بزرع الأعضاء البشرية فى الجسم بعد إزالة العضو المريض (كالكلى والقلب والكبد) نرحب بتغيير الأطراف بدل أن تكون صناعية تكون بشرية بشرط ألا تتحول إلى تجارة ، ودعوة إلى القتل ، وإنما تنظم بتشريعات صارمة ، ولابد من إذن كتابى للحى ومن أهل الميت ، وما أظن القرن الحادى والعشرين إلا ويشهد ثورة فى زرع الأعضاء البشرية مما يخفف آلام البشرية .

---

(١) سورة النساء الآيات : ١١٧ - ١٢٠ .

لكننا نرفض رفضًا باتًا أن يتحول الإنسان إلى (فأر تجارب) وأن تهدر كرامته ، وأن يتلاعب به العلماء ، وأن يتحول إلى مخلوق ضائع لا نسب له ولا حسب ، وأن يكون أداة تدمير فى أيدى تجار الموت ، وعصابات المافيا ، فتعم الفوضى وتشتد موجة الإرهاب مادام الإنسان منه نسخ كثيرة ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (١) .

ولابد وأن نذكر أن الله قال عن الاستنساخ : ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُم تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) وهذه الآية تشير إلى استنساخ أعمال البشر وأقوالهم وهى مودعة فى كتاب يعرض على كل إنسان ليرى ما قال وما فعل بالصورة والصوت والزمن والمكان ، ولا مناص له من الإقرار بكل هذا (كيف حدث ذلك مع المليارات من البشر فى وقت واحد) إنها القدرة الإلهية الشاملة .

الاستنساخ البشرى هل يمكن أن يحقق أهدافًا :

إن هذا الكشف العلمى رغم أهميته لقى مقاومة شديدة من علماء الشرق والغرب ، ولما كان الحصول على خلية واحدة من أى إنسان حتى الأموات أمرًا غير عسير ، فإن العلماء سيتمكنون عندما تتهيأ الظروف من إيجاد نسخة أخرى له ، والخوف ليس من الكشف العلمى ، بل من أن يقع ذلك فى أيدى أفراد أو جماعات لا أخلاق لهم ، ولا همَّ لهم إلا الكسب المادى أو التخريب والسيطرة على مقادير البشر ، والعلماء سبقوا وحذروا من إنتاج (القنبلة الهيدروجينية) لخطورتها على الجنس البشرى وأن تقع فى أيدى عصابات دموية ، وكان على رأس العلماء (لينوس بولنج) الذى حصل على جائزة نوبل مرتين فى فرعين مختلفين للعلوم الطبيعية .

---

(١) سورة الشعراء الآية : ٢٢٧ .

(٢) سورة الجاثية الآية : ٢٩ .

فالمضى فى إنتاج (القنبلة الهيدروجينية ربما أدى إلى تدمير الكوكب الأرضى ، وقد أثبتت التجارب حقيقة هذا التخوف .

وكان العلماء قد خوفوا من استنساخ أشخاص مثل (هتلر) الذى يقولون عنه : إن العلماء أخذوا (خصلة من شعره) وأنهم أجروا تجارب لإنتاج نسخ منه ، وهذا الديكتاتور كلف البشرية نحو خمسين مليونًا من البشر ، غير تخريب المدن ، ولابد وأن نعلم أن الاستنساخ سيكون ماديًّا أى يتعلق بالجسم لكن العبقرية لا تحدث بهذا بل بالعلم واكتساب المعارف (كاينشتين) فالمستنسخ سيبدأ طفلًا ويدخل المدرسة وربما أخذ اتجاهًا آخر (وهذا ما حدث مع معظم التوائم) فالنسخة الثانية لن تأتى مثل الأصل بالصفات الفكرية أو الذهنية ، وربما نجح العلماء بعد قرن آخر من استنساخ المخ .

ومع ذلك فلو ظهر (هتلر) جديد ومشى فى شوارع ألمانيا أو أى بقعة أخرى سيلعن نفسه ، وربما فضل الانتحار لما يرى من كراهية البشرية له ، وسيقتله الحزن ، وقد تغيرت ألمانيا وتحولت من النازية إلى التعاون مع أعدائها ، وأصبحت من أعظم دول العالم الاقتصادية .

وهل سيجد (هتلر الجديد) من يعاونه ويقدسه ويتفانى من أجله مثل وزير دعايته (جوبلز) الذى أخضع الشعب الألمانى لسيطرة هتلر ، ولا أظن (هتلر الجديد) إلا متجهًا إلى الإرهاب ليرأس عصابة من عصابات المافيا .

هل يمكن استنساخ مجموعة (كالفتية أصحاب الكهف) الذين تمردوا على قومهم ورفضوا الوثنية واهتدوا لله الخالق المبدع ﴿ **نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾[1] .

---

(١) سورة الكهف الآيتان : ١٢ ، ١٣ .

وإذا استنسخنا الأشخاص .هل نستطيع أن نستنسخ البيئة المحيطة بهم والتى كونت تفكيرهم .

والسؤال هنا : ما الذى يشكل جوهر الإنسان ؟ أهو (سماته الوراثية) أم (خبراته المكتسبة) ؟ فهناك عقبات كثيرة أمام الاستنساخ ليصبح فعالًا فالإنسان سيظل متفردًا بخصائصه ولا يمكن أن يتشابه اثنان فى كل الصفات الجسمية والعقلية والنفسية والسلوكية .

إن (هتلر القديم) مكروه من كل شعوب العالم كما يكره أغلب شعوب العالم (إسرائيل) حتى (أمريكا) التى تستخدم من أجلها (الفيتو) تكرهها لأنها تعوق طموحاتها فى أهم منطقة فى العالم .

ومن يدرى لعل العلم يكشف لنا عن مزيد من الأبعاد حول هذه الأفكار .

وسيظل الله سبحانه هو المسيطر ، وهو المدبر ، وهو الخالق والصانع ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾[1] .

الاستنساخ البشرى يتطلب إصدار تشريعات عاجلة :

إن التقدم فى مجال (الهندسة الوراثية) دفع بالعلماء إلى اكتشاف خطير هو (الاستنساخ البشرى) كما سبق وأن نجح استنساخ النبات ، ثم الحيوان وهو وبال على البشرية عامة ، وعلى المجتمعات الإسلامية الخاصة .

والاستنساخ البشرى يختلف عن (أطفال الأنابيب) ففى أطفال الأنابيب يتم تلقيح البويضة بالحيوان المنوى للذكر خارج الرحم فى أنبوب

---

(١) سورة الأنعام الآية : ٦١ .

حتى تصل الخلية إلى مرحلة معينة يعاد زرعها فى رحم الأم حتى اكتمال الحمل ، وهذا لا يثير مشكلة ، لأن الطفل لأب وأم معلومين ، أما الاستنساخ فيلغى الرجل لأنه بإمكان أى امرأة عذراء أن تنسخ طفلة منها ، وهنا يتحقق (التكاثر اللاجنسى) ، فالجنين يتخلق من خلية جسدية وليست جنسية أى من (حيوان منوى وبويضة) .

وإذا كان الاستنساخ مفيدًا فى النبات والحيوان لتعويض نقص الطعام وتحسين السلالات النباتية والحيوانية إلا أن الاستنساخ فى البشر مشكلة معقدة ، ومعاندة للدين ، وإيجاد أفراد مجهولى النسب شخصياتهم القانونية غير معروفة وعلى هذا لا يكونون ضمن أفراد الدولة حسب القواعد المعروفة ، ومن الصعب على الحكومة السيطرة على المعامل التى تقوم بالاستنساخ ، ولابد من تشريع لتنظيم عمليات (الفحص المجهرى) (وعلاج العقم) .

وحتى (الاستنساخ الحيوانى) يجب أن يقتصر على (تحسين السلالات) والحفاظ على الحيوانات المهددة بالانقراض .

أما فى مجال استنساخ الإنسان فلابد من عقوبة مشددة تصل للإعدام حتى لا يوجد أشخاص لهم نفس الصورة والصفات مما يؤدى إلى مشاكل خطيرة فى مجال المعاملات والجريمة إذ يصعب تحديد شخصية المجرم مما يفتح أبواب الجريمة على مصراعيه ، ثم يندرج هذا تحت بند العلاقة بين الفرد والدولة (التجنيد ، والتعليم) ولابد من قيام وزارة الصحة بواجبها لتسجيل كل بويضة تخرج من الأم ومراقبة (مراكز الحقن المجهرى) ونريد حماية الإنسان من الاختلاط وبالتالى (إصدار حقوق الميراث) وعلى رئيس الدولة والمجالس التشريعية أن يعملوا على عدم إجراء هذه التجارب فى مصر .

* * *

سخرية من الاستنساخ

كتب الأستاذ (أنيس منصور) فى عموده (مواقف) بجريدة الأهرام فى ١٩٩٧/٣/٢٨م « مع كل جديد ينقسم الناس إلى ثلاثة أقسام : قسم يصدق فورًا ، وقسم يرفض فورًا ، وقسم ثالث يهز أكتافه لا يعرفون ولا يهمهم ما حدث » .

وليست تجربة الاستنساخ بين الأغنام والقرود طريقًا إلى (استنساخ الإنسان) ولعلنا نعلم أنه لما اخترع (البنج) عارضته الكنيسة بحجة أن الإنسان لا يتعذب (والسيد المسيح) يتعذب فالبنج عندهم حرام .

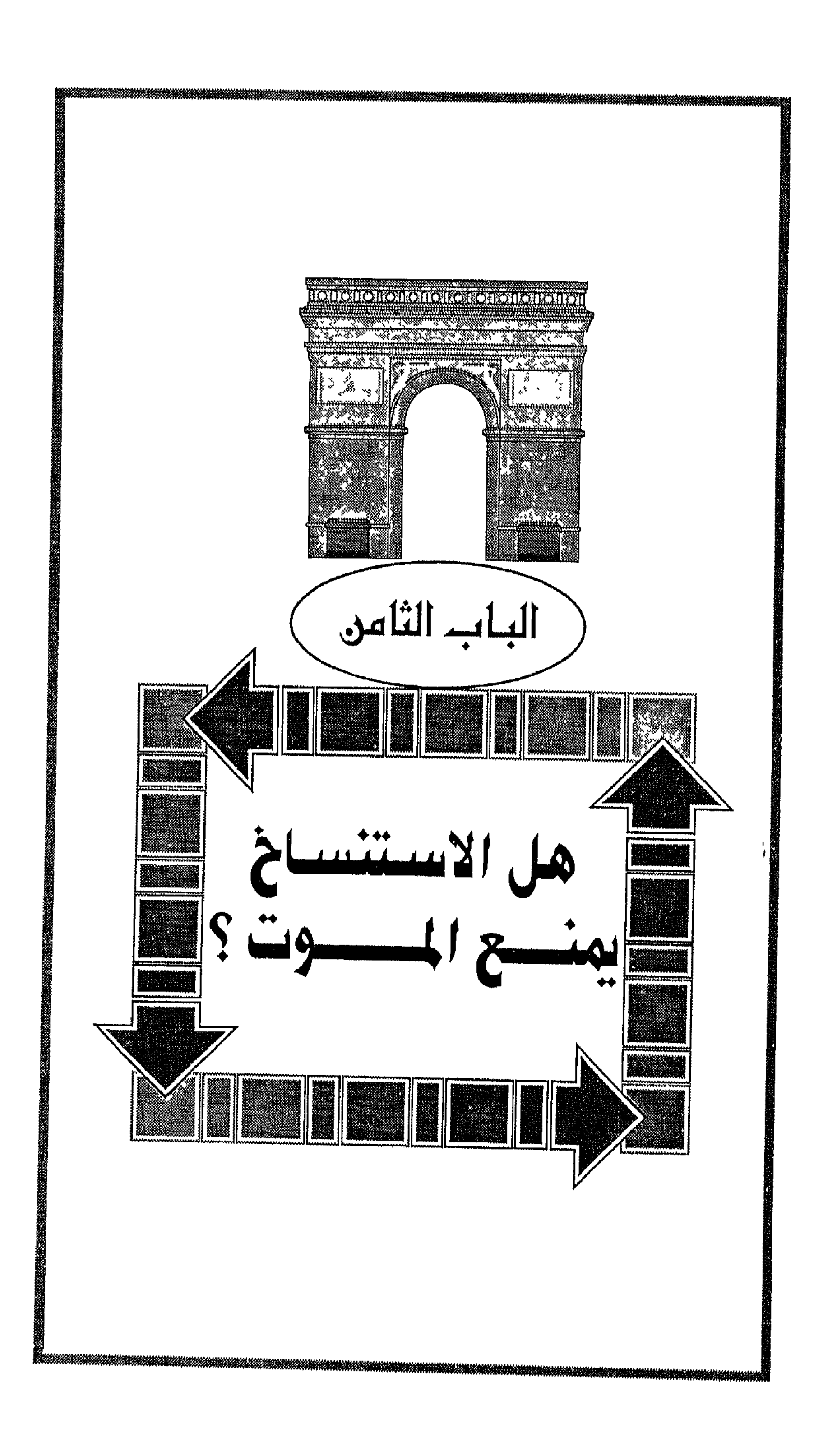
وفى رواية (عمال البحر) للأديب الفرنسى (فيكتور هوجو) وقف الناس يلعنون هذا الذى يرونه يشق الأطلنطى وهو (الباخرة) لأن الله فصل ما بين (النار والماء) فكيف يجمع الإنسان بينهما ، فالسفن عندهم حرام .

والعلماء حاولوا التوصل إلى علاج لمرضى (الإيدز) لكن رجال الدين رفضوا واعتبروا مريض (الإيدز) ينال عقابًا من الله ، فالعلماء كفرة لأنهم يساعدون العصابات الذين مارسوا الشذوذ الجنسى بكل صوره .

وأحد رجال الدين المسلم حرم (دم المسيحى) أو أن يعالجنا طبيب مسيحى أو يهودى ، فلما مرض هو نقلوا إليه دمًا مسيحيًا وعالجه يهودى فحلل ذلك .

ومنذ سنوات ونحن نلعن (الهندسة الوراثية) لأنها تقوم على التدخل فى الصفات الوراثية فى النبات والحيوان ، ثم الإنسان ولولا (الهندسة الوراثية) ما كبر حجم الدجاج والخراف والأسماك والأبقار والفواكه ولا أنقذنا الأجنة فى بطون أمهاتها ، ويوم أطلق الروس الكلبة (لايكا) افتدت الإنسان وأنقذنا عن طريقها مئات من رواد الفضاء ، فإذا كان أحد من رجال الدين قد فهم أبعاد الاستنساخ فليكن له رأى وإلا فلينتظر حتى يفهم .




الباب الثامن
هل الاستنساخ
يمنع الموت ؟



الباب الثامن

هل الاستنساخ البشرى يمنع الموت ؟

قضية هامة نثيرها بعدما ذكرنا حول الاستنساخ البشرى ليجرى العلماء تجاربهم وليتوصلوا إلى (الاستنساخ المطلق) هل يستطيعون أن يمنعوا الموت أن يقضى على الإنسان ؟ هل يتحكمون فى الروح ويحبسونها لا تفارق الجسم ؟

(هذا محال) فكما خلق الله الحياة خلق الموت لإحداث التوازن ﴿تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ والْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [1] .

والموت هو الراحة من شرور الحياة وآلامها ، ولنتصور مريضًا هدَّه المرض وعجز الأطباء عن علاجه يأتيه الموت فيرحمه .

وبعد أن ذكر الله أطوار الجنين فى بطن أمه وهو يتطور سبعة أطوار قال : ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [2] فالإنسان يمر بحياتين وميتتين لابد منهما ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ باللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [3] .

وأهل النار يقولون : ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [4] .

---

(١) سورة الملك الآيتان : ١ ، ٢ .
(٢) سورة المؤمنون الآية : ١٥ .
(٣) سورة البقرة الآية : ٢٨ .
(٤) سورة غافر الآية : ١١ .

والموت يشبهه النوم ، والبعث تشبهه اليقظة من النوم ، ولهذا يقول ﷺ: « والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن على ما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحسانًا وبالسوء سوءً وإنها لجنة أبدًا أو لنار أبدًا » .

لقد حاول العلماء والأطباء فى الصين أن ينقذوا (ماوتسى تونج) معبود أهل الصين فعجزوا ، وحاول الروس أن ينقذوا (ستالين) فعجزوا ، وجرت كلمة الله وصدق المولى حين يقول عن الروح : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (1) .

والنبى عليه الصلاة والسلام يقول : « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » لأن بعد الموت الحياة الأبدية (إما فى الجنة أو فى النار) ويبدأ النعيم أو العذاب من القبر « القبر إما روضة من رياض الجنة ، وإما حفرة من حفر النار » .

فالإنسان مهما حقق من مجد أو جاه أو سلطان ، ومهما كوم من مال فله نهاية هى الموت فى الدنيا وبعده الحياة الأبدية ، فالموت هو الحد الفاصل بين قدرة الله وقدرة البشر ، والله نعى نبيه وهو حى ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (2) ، وقال له : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ (3) .

* * *

---

(1) سورة الواقعة الآيات : ٨٣ - ٨٧ .
(2) سورة الزمر الآية : ٣٠ .
(3) سورة الأنبياء الآية : ٣٤ .

خاتمة

الحقيقة أن قضية الاستنساخ البشرى أحدثت دويًا أكثر من التجارب الذرية ، فمازالت نتائجها مجهولة وصفات الحيوانات المستنسخة غير معروفة .

والاستنساخ ليس خلقًا فهو يعتمد على خلية خلقها الله والإنسان يعبث بها ، وعملية الاستنساخ يمكن أن تخل بالتوازن بين الذكور والإناث وتهدد البيئة ، ويمكن أن تستخدم فى الصراعات الدولية ، والحقيقة أن الاستنساخ لم يثبت أنه يؤدى منافع للبشرية ، والعلماء عجزوا عن استنساخ أعضاء بشرية ، فالاستنساخ يعتمد على أخذ خلية جسدية تحتوى على الحمض النووى وإدخال الحمض داخل بويضة ثم تفريغها من النواة ووضعها فى حضانات خاصة حتى يمكن الانقسام ثم تزرع فى داخل أى رحم .

وقد ثبت أن الحمض النووى يتكون من ٤ قواعد نيتروجينية وأى تغير أو لمسة ولو بسيطة يؤدى إلى إثارة الجينات السرطانية .

وكل إنسان فى داخله جينات سرطانية فى حالة جمود وأى اقتراب منها ينشطها ، والسلوك الإنسانى له قواعد وراثية شفرتها داخل الحمض النووى ، فالإجرام يتوارث ، وعلى هذا من الممكن خلق جيل عدوانى أو جيل مريض .

وأساتذة علم الوراثة يؤكدون أن عملية الاستنساخ تبدأ بمادة حية هى أساس الكون كله ، فيتم أخذ (البتوبلازم) ليوضع فى بويضة . فنحن نحتاج إلى خليتين ، وهذه العملية كانت موجودة فى (التلقيح الصناعى) (وأطفال الأنابيب) والجديد أن الخلية لا تؤخذ من الحيوان المنوى بل من أى

جزء نشيط من الجسم فإذا أردنا ولدًا نأخذ خلية رجل ، وإذا أردنا أنثى نأخذ خلية امرأة .

وهذا قد يؤدى إلى الخلل فى التوازن بين الذكور والإناث ، ويتم الاستغناء عن فكرة الزواج لتنشأ حرب بين الجنسين ، ونحن إلى الآن لا نعرف من مكونات الحمض النووى سوى ١٠٪ ، أما ٩٠٪ فليس معلومًا لنا فالنتائج غير مضمونة (والنعجة دوللى) لا تدرى ماذا سيحدث لها ، وإذا أكلها الإنسان ماذا سيحدث له .

وعملية الاستنساخ سلاح أخطر من أى سلاح نووى فإن الدول إذا أرادت محاربة أخرى فقد تنتج نوعًا من الفاكهة إذا أكله الإنسان أضر به .

وعملية الاستنساخ كما قلنا ليست عملية خلق ، فالاستنساخ يعتمد على خلية موجودة خلقها الله ، فالخلق يكون من عدم .

ولم تنجح تجارب إيجاد أعضاء بشرية بطريقة الاستنساخ (كالكلى والكبد) فكل خلية من جسم حيوان تحتوى على كل العوامل الوراثية .

وعملية الاستنساخ البشرى محرمة علميًا ودينيًا ، فمن الناحية العلمية تتعارض مع القيم والأخلاق حيث يتم نسخ صور متكررة من البشر ، واستنساخ الأعضاء لابد له من استنساخ إنسان كامل ، ولا يصح أن يتحول الإنسان إلى تجارب .

وقد نجح العلماء فى تحويل الجينات الوراثية فى الخنازير وجعلها مشابهة تمامًا للقرود ، وقاموا بنقل كبد الخنزير إلى القرد ، ولما حاولوا تحويل جينات الخنازير إلى إنسان فشلت التجربة ، ولكن العلماء يواجهون تجاربهم لخدمة الإنسانية .

والاستنساخ موجود حيث إن بعض التحاليل مثل تحليل B. C. R.

الذى يشخص فيروسات الكبد ما هو إلا استنساخ يتم خلاله استنساخ ملايين من حامض أميبى واحد .

ولعل العلم يتوصل إلى استنساخ أعضاء بشرية لإنقاذ المرضى ، والمؤتمرات الطبية بدأت فى مناقشة الاستفادة من عمليات الاستنساخ فى تصنيع أعضاء بشرية مثل الكبد لعلاج مرض الفشل الكبدى ، ومعنى ذلك أن الاستنساخ شغل الآن العقل العلمى .

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ [1] .

عبد المعز خطاب

* * *

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٢٧ .



فهرس الكتاب



الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
الباب الأول : الإنسان بين المخلوقات	٥
بداية التغيير في جسم الإنسان	١١
تقدم طب الجسد	١٣
الباب الثانى : الولادة القيصرية انقلاب فى عالم الطب	١٥
عدسات العين اللاصقة انقلاب فى عالم الإبصار	١٨
استبدال الأعضاء البشرية تقدم لصالح البشرية	٢١
علاج العقم تطور علمى هام	٢٣
أطفال الأنابيب تخطي كل العقبات	٢٥
كثرة التوائم إنذار بالتغير البشرى	٢٧
التحكم فى الهندسة الوراثية	٢٨
الباب الثالث : استنساخ مخلوقات متشابهة فى عالم الحيوان والنبات	٣١
نجاح استنساخ البشر وما بعد ذلك	٣٤
حدود التفكير العلمى فى الإسلام	٣٧
الباب الرابع : هل الاستنساخ البشرى تدخل فى المشيئة الإلهية	٣٩
محاسن الاستنساخ ومساوئه	٤٣
الاستنساخ البشرى موجود منذ القدم	٤٥

الموضوع	الصفحة

* * *

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى - ١١٢٣١



الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع

القاهرة ـ تليفون ٣٥٥١٧٤٨ ـ ٣٥٤٤٧٠٨